

مناظرات ابن تيمية

مع فقهاء عصره

تأليف
الدكتور السير الجعيلي

جَمِيعِ الْمُقْوِقَاتِ مَفْوَظَةٌ
لِيَارِ الْحِكَّاتِ الْعَرَبِ
بَيْهُوت

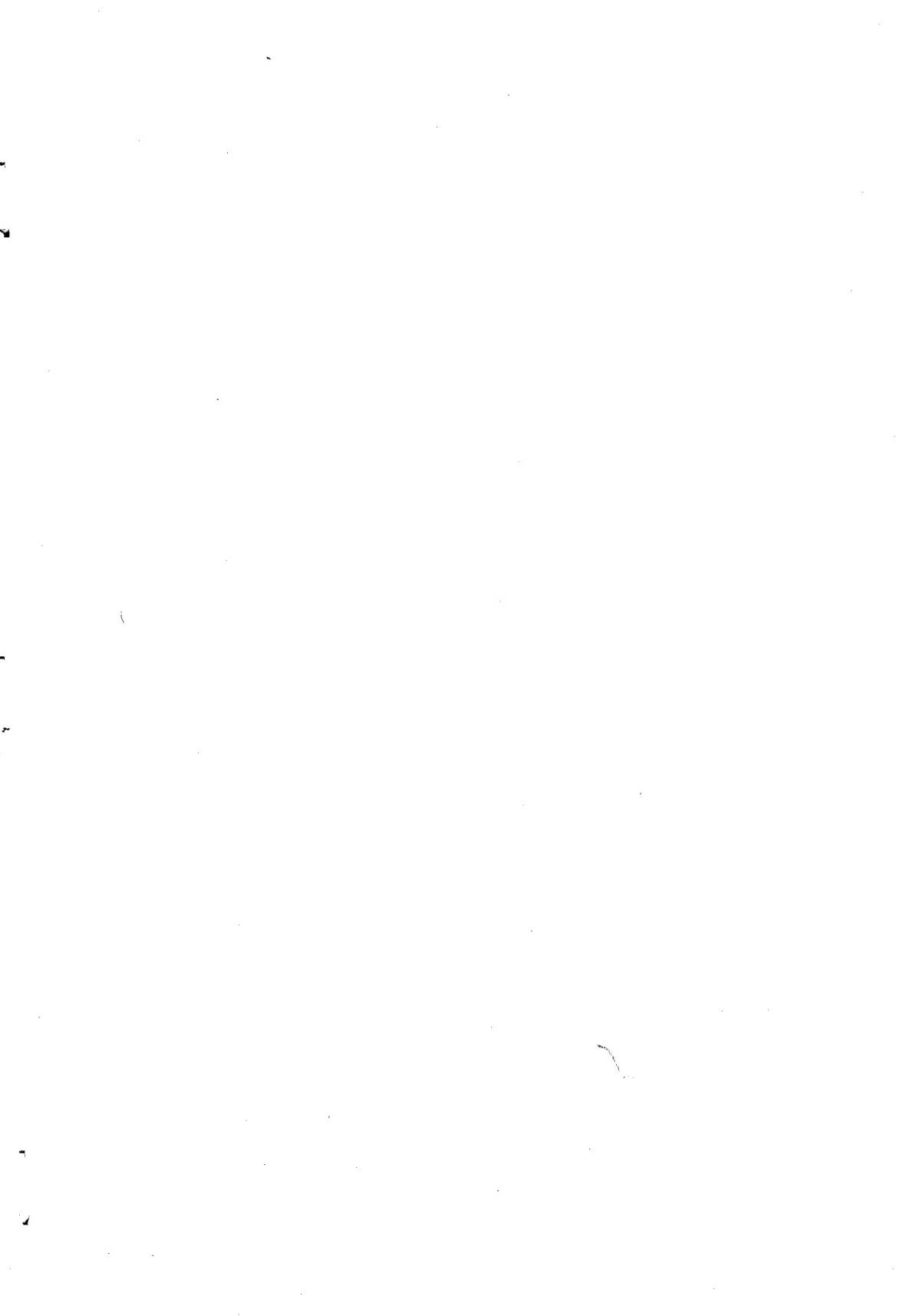
الطبعة الأولى

١٤٠٥ هـ ١٩٨٥ م

دار الكتاب العربي

الرملة البيضاء - ملكارت ستر - الطابق الرابع - تلفون: ٨٠٥٤٧٨/٨٠٠٨١١/٨٠٠٨٣٢
نلكس: ٤٠١٣٩ L.E. كتاب برقا: الكتاب ص.ب: ١١ - ٥٧٦٩ - بيروت - لبنان

مناظرات ابن تهميّة



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

كَلِمَةُ لَا يَدْعُونَا

[كلنا أهل القبلة موحدون ، وما اختلفنا فيه ببعضنا مع البعض الآخر من
مسائل في الفروع أو الأصول إنما هي مجال بحث ودراسة وتحقيق ينطوي به
إظهار الحجة ومقارنة الأدلة ، وهذا هو دأب العلماء وأولى الفضل ، ونحن نرجو
الله سبحانه وتعالى أن يوفقنا إليه دائمًا وهو المستعان على كل خير .]
والله غالب على أمره

المقدمة

إن الحمد لله رب العالمين ، وحده لا شريك له ، وأصلي وأسلم على خير خلقك ، وأكرم رسلك وأعظم أنبيائك محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه والتابعين بياحسان إلى يوم الدين ، وبعد .

فإني أؤثر قبل كل شيء وقبل أي شيء أن أوضح وأجلو أمراً بالغ الأهمية
ألا وهو أننا لا نحمل على شخص ، ولا طائفة معينة بذاتها ولا نرجو ذلك ولا
نتمناه ، إنما هي مناقشة أفكار ودراسة آراء وإبداء وجهات نظر ، قد يضيق بها
البعض كما قد يغبط بها آخرون ، والرائد كما قال سيدنا رسول الله ﷺ لا
يکذب أهله .

وقد كان شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله من كبار أئمة الدين ومن عظام
نقهائه الذين نافحوا عن الدين وذبوا عن التوحيد وأثروا الفقه الإسلامي بالعطاء
الجذل والفهم القوي .

وقد كانت الخصومة بينه وبين أعدائه ضارية حامية الوطيس لم يخف
سعيرها لحظة حتى لقى الرجل ربه ولقوا ربهم أجمعون وقد أفضوا إلى ما قدموا .

ـ [ـ] ونحن لا نضم صوتنا لفريق دون فريق إلا بحجة وبرهان ودليل واقتئاع
فليس أحباب إلى نفوتنا من الحق والعدل والصواب ونحن لا نقدس أشخاصاً كما

لا نعرض على أشخاص بذواتهم إنما التعصب للفكر، والتحزب على الفكر، عن علم وهدى وبصيرة، لأن التعصب الأعمى لا يصدر إلا من الجهل العظيم الذي نربأ بأنفسنا عنه كما لا نرضاه لأحد من أهل القبلة الموحدين .

وليس ابن تيمية ، ولا ابن القيم ولا أحدٌ من سبقهم أو خلفهم يستطيع أن يدعى العصمة لنفسه ، فمن ادعى ذلك فقد ورط نفسه في حادة الغرور التي يدين إليها فساد الملوكات الإنسانية الخيرة من قديم الزمان .

ولو أن أحداً من السلف أو الخلف خالف صريح النص القرآني أو السنة الصحيحة المأثورة عن سيدنا رسول الله ﷺ ، فنحن أبرياء منه بل في حل من رأيه ومذهبه ، وقد برئت ذمة الله منه .

والحكمة ضالة المؤمن ، وبها تتطهر النفس البشرية من أوضار ورجس الشيطان وزرواته التي ينزو بها على الفطرة البريئة الموحدة في نفس الإنسان فيفسد عليها استقامتها وعبوديتها .

والذي ينشد الحكمة في غير كتاب الله ضالٌّ مضلٌّ مبتدعٌ داعيٌّ كذابٌ أشرٌ لا يقبل الله منه عدلاً ولا صرفاً ، كذلك الذي يتبع سقطات العلماء فهو عطل من الفضيلة عارٍ منخلق القويم ، لأن عورات المسلمين منوطه بالكتمان وعلى الله قصد السبيل وهو يتولى السرائر، (حتى لا يظنن ظان أننا نعمد إلى إثارة حرب فكرية بين أنصار السلف وأهل الإبتداع إنما التعويل كله على بيان الحجج والبراهين ومقارنة الأدلة ، والمقيم على عقيدة لا يطيق تغييرها إلا بإرادة الله سبحانه وتعالى في الخير له ، وفي يقيني أن الإنسان لا يبدأ بعيش الفضيلة إلا عندما يبدأ محاسبة نفسه وتوبيقها على إسرافها في الأمر وتقصيرها في جنب الله .

والذي أحب بيانه أننا لسنا من يستثمرون اللهي ، ولا يتناحرون على الغانية ولا يرمون إلى سلطان زائل إنما مرادنا هو مرضاة الحق جل شأنه ، ودحر الجهل الذي ران على كثير من القلوب ولو لواه لصلاح أمر كثير من الناس المخطئون .

ولا جرم أن عنصر الخير موجود في أمّة رسول الله ﷺ والفضيلة حرية بأن

تجمع أصحابها وذوتها على المحبة والتواط والتراحم لأنها من قيم الإسلام ، وكثير من إخواني وأصدقائي ابتلاهم الله في نفوسهم وأهليهم وأموالهم فزالت نعمهم لكن لم تزل مروءاتهم التي ظلوا عليها مقيمين وبها مطمئنين ، ويحمل الكل على أهل الفضل . أجل . وفي هذه الدراسة نروي ونتحقق ما ورد بين شيخ الإسلام ابن تيمية ونظرياته وشائيه من مناظرات ومحاورات ومحالس من واقع مراجع التاريخ الشهيرة كالبداية والنهاية أو تاريخ ابن كثير، وتاريخ الطبرى ومجموع الفتاوى وغيرها من المصادر العربية المعتمدة .

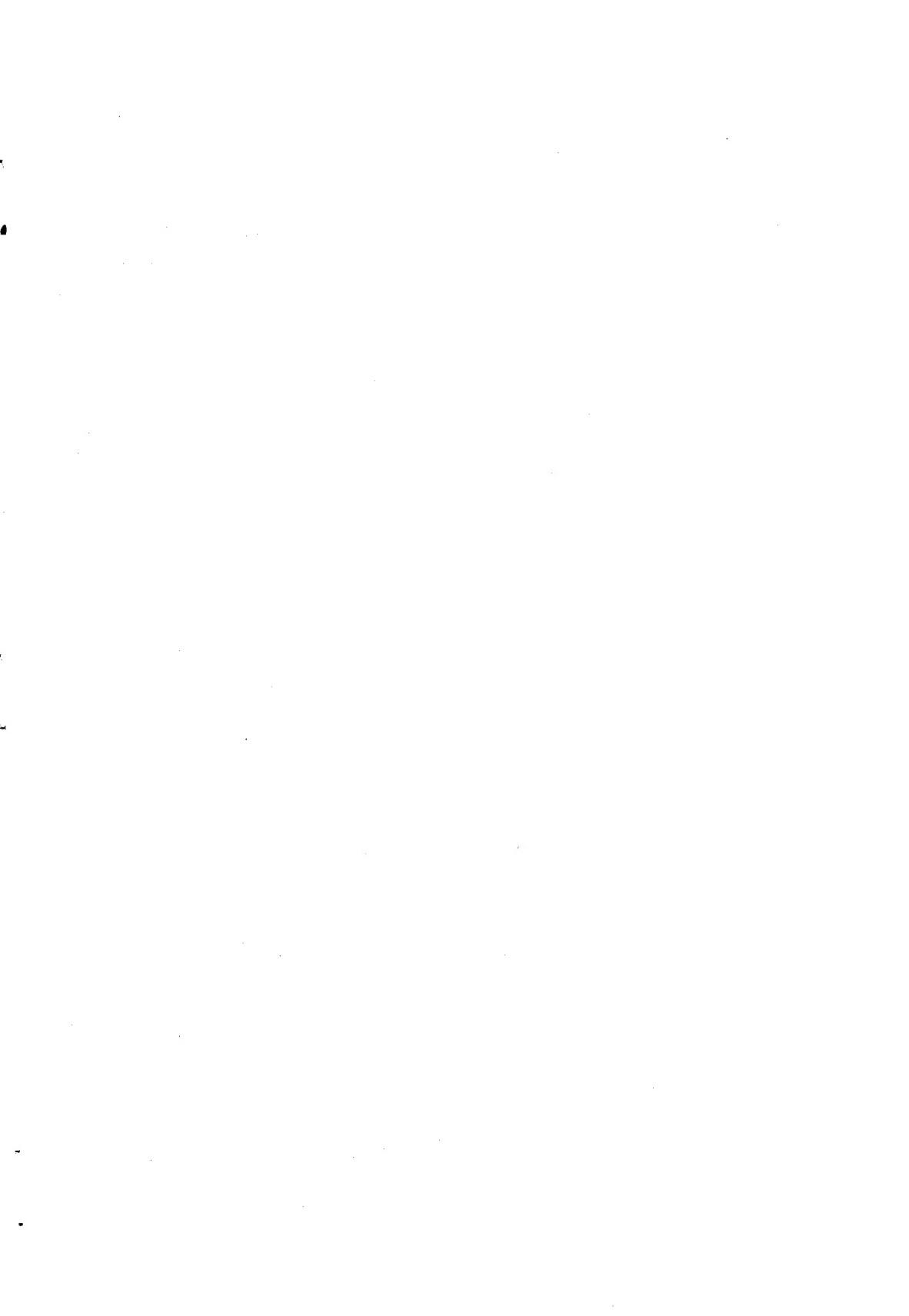
فلقد استهونتني هذه [المناظرات لما فيها من علم وفضل وفقه وتجربة وجدل ومحاورة ومقارعة ومناوشة]، فلما أحسست بالملته مضاعفة ، رأيت أن أنقل هذه الملة إلى قرائي الأعزاء لعلي أظفر بدعاوة بظهور الغيب لقاء ما بذلت في جمع شتات هذه المجالس والمناظرات التاريخية ، وما صبرت عليه من جهد في الشرح والتعليق .

أسأل الله سبحانه وتعالى أن يجنبنا السوء وأن يصرفنا إلى طاعته ، وأن يحب الخير إلينا ويحبينا فيه ، وأن يقينا شر نفوسنا وأن يجمعنا بالصالحين في دار المقام ، إنه على كل فضل وخير مستعان ، وله الحمد في الأولى والآخرة وأخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين؟.

السيد الجميلي

القاهرة في أكتوبر سنة ١٩٨٤ م.

المحرم سنة ١٤٠٥ هـ.



المناظرة التاريخية الجليلة

بين ابنته تيمية دامت عطاء الله السكندرى مرحما الله

هذه المناظرة التاريخية جليلة القدر عظيمة القيمة بين الإمام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية كبير أعلام السلف التمسكين بالكتاب والسنّة والإجماع ، وبين الشيخ أحمد بن عطاء الله السكندرى وهو بدوره من كبار علماء ورجال التصوف الذين طبقت شهرتهم الأفاق وقد مارس التصوف عن وعي وعلم وبصيرة .

وهذه المناظرة ذات قيمة تاريخية ، وذات أهمية علمية وفقهية لأنها بين علمين كبيرين ، وهي تتناول مواضيع في غاية الحيوة تمس عقيدة الإسلام ، وهي تناقش قضية التصوف وما تصل بها من فروع ومسائل مثل التوسل ، وموقف كل من الشيختين من الشيخ محبي الدين بن عربي .

وقد تحدث عن هذه المناظرة وأمثالها من مناظرات ومحالس ابن تيمية كثير من الأئمة والمؤرخين مثل ابن كثير والعديد من العلماء الذين أرخوا لكتاب الأئمة .

وقد نقلها من المحدثين الأستاذ عبد الرحمن الشرقاوى ، ونقلتها منه أيضاً مجلة المسلم الصادرة عن العشيرة المحمدية بالقاهرة «العدد ٤، ٥» الصادر في ٢٠ من أغسطس ١٩٨٢م . الموافق غرة ذي القعدة سنة ١٤٠٢هـ (السنة الثالثة والثلاثون) .

وقد حدثت هذه المناظرة التاريخية في عصر الملك الناصر محمد بن قلاوون^(١). لما أن نفى الشيخ ابن تيمية إلى الإسكندرية، وكان قد أله حياة السجن حيث قضى فيه أغلب أوقات عمره وشبابه ، حتى أنه كان يجد فيه متعة نفسية طيبة فقال قوله الشهيرة (جسي خلوة وقتل شهادة ، ونفي سياحة) فوجيء الإمام الفقيه المناضل المعتذب بعنته بالعفو عنه ، فجاء إلى القاهرة ، ثم ذهب ليصلِّي المغرب بالأزهر خلف الشيخ أحمد بن عطاء الله السكندري . وكما قلنا سلفاً أن الفضيلة تجمع أصحابها على المحبة والمودة والتآلف والترابط ، «مَهْمَا بَلَغَتْ دَرَجَاتُ الْخِتْلَافِ وَوِجْهَاتِ النَّظَرِ ، فَإِنَّ الْقَدِيمَاءَ وَالْمُحْدِثَيْنَ مُتَفَقُوْنَ جَيْعَأً عَلَى أَنْ اخْتَلَافَ الرَّأْيِ لَا يَفْسَدُ لِلْوَدِ قَضِيَّةً .» وبالنقاء والصفاء النفسي بعيداً عن السخائم والإحن تتظهر النفوس من حوبها وأوضارها ، وإنني لأطمئن إلى الحكمة (أن أختلف مع ألف عالم خير لي وأطيب من الإختلاف مع جهول واحد) وعداؤه الجاهل خير من صداقته . وبعد صلاة المغرب ، فوجيء ابن عطاء الله بالشيخ أحمد بن تيمية يصلِّي خلفه ، فهش له ، واغبط به ، وهنأ بسلامة الوصول .

ثم قال له ابن عطاء الله : - «ألفت أن أصلِّي المغرب في جامع مولانا الحسين ، وأصلِّي العشاء هنا ، فانظر تقدير الله .. قدر لي أن أكون أول من يلقاك ... أعاتب أنت على يا فقيه؟ .

فقال ابن تيمية : - أعرف أنك ما تعمدت إيدائي ، ولكنه الخلاف في الرأي ، على أن كل من آذاني فهو منذ اليوم في حل مني».

قال ابن عطاء الله : «ماذا تعرف عنِّي ياشيخ ابن تيمية؟».

قال : أعرف عنك الورع ، وغزاره العلم ، وحدة الذهن ، وصدق القول ، وأشهد أنِّي ما رأيت مثلك في مصر ولا في الشام حباً لله أو فناء فيه ، أو انصياعاً لأوامره ونواهيه ، ولكنه الخلاف في الرأي ، فماذا تعرف عنِّي أنت ؟ هل تدعني على بالضلال إذ أنكر استغاثة غير الله؟ .

(١) الملك ناصر الدين محمد ١٢٨٥ - ١٣٤١ ابن السلطان قلاوون تاسع الملوك البحريين .

قال ابن عطاء الله السكندري : أما آن لك يا فقيه أن تعرف أن الاستغاثة هي الوسيلة والشفاعة ، وأن الرسول ﷺ يستغاث ويتوسل به ويستشفع؟ .

قال ابن تيمية : أنا في هذه أتبع السنة الشريفة ، فقد جاء في الحديث الصحيح (أعطيت الشفاعة) وقد أجمعت الآثار في تفسير الآية الشريفة : « عسى أن يبعثك ربك مقاماً مموداً »^(١) على أن المقام المحمود هو الشفاعة .

والرسول ﷺ لما ماتت أم أمير المؤمنين علي رضي الله عنها ، دعا لها الله على قبرها :

« الله الذي يحيي ويميت ، وهو حي لا يموت ، اغفر لأمي فاطمة بنت أسد ، ووسع عليها مدخلها ، بحق نبيك والأنبياء الذين من قبله ، فإنك أرحم الراحمين » فهذه هي الشفاعة ، أما الاستغاثة ففيها شبهة الشرك بالله تعالى .

وقد أمر الرسول ابن عميه عبد الله بن العباس ألا يستعين بغير الله .

قال ابن عطاء الله : أصلحك الله يا فقيه ، أما نصيحة الرسول ﷺ لابن عباس فقد أراد منه أن يتقرب إلى الله بعلمه لا بقرباته من الرسول وأما فهمك أن الاستغاثة استغاثة بغير الله فهي شرك ، فمن من المسلمين الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر ورسوله يحسب أن غيره تعالى يقضي ، ويقدر ، وينصب ويعاقب؟ !.

إنما هي ألفاظ لا تؤخذ على ظاهرها ولا خوف من الشرك لنسد إليه الذريعة ، فكل من استغاث الرسول ﷺ ، فهو إنما يستشفع به عند الله مثلما تقول أنت أشعني هذا الطعام ، فهل الطعام هو الذي أشعوك أم أن الله تعالى هو الذي أشعوك بالطعام؟ .

(١) الإسراء (٧٩/١٩) والمقام المحمود الذي يحمده ﷺ فيه الأولون والآخرون هو مقام الشفاعة العظمى ، يقول المفسرون (عسى) في كلام الله سبحانه وتعالى للتحقيق ، لأنه وعد الكريم ولأن وعد الكريم حق لا يختلف ولا بد من تحقيقه . قال ابن عباس رضي الله عنها : عسى من الله واجهة تفيد القطع . راجع صفة التفاسير للشيخ الصابوني (١٥/٧٦٨) بتصرف .

وأما قولك أن الله نهانا أن ندعو غيره ، فهل رأيت من المسلمين أحداً يدعوا غير الله؟.

إنما نزلت هذه الآية في المشركين الذين كانوا يدعون آلهتهم من دون الله ، إنما يستغيث المسلمون حمداً بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ بمعنى التوسل بحقه عند الله ، والتشفع بما رزقه الله من شفاعة ، أما تحريك الاستغاثة لأنها ذريعة إلى الشرك ، فإنك كمن أفتى بتحريم العنبر لأنه ذريعة إلى الخمر ، ونخصي الذكور غير المتزوجين سداً للذرئعة إلى الزنا . وضحك الشيخان!!!

واستطرد ابن عطاء الله ، وأنا أعلم ما في مذهبشيخكم الإمام أحمد من سعة ، وما لنظرك الفقهي من إحاطة ، وسد الذرائع يتبعن على من هو في مثل حذرك ، وحدة ذهنك ، وعلمرك باللغة أن يبحث عن المعانى المكتونة الخفية ، وراء ظاهر الكلمات ، فالمعنى الصوفى روح ، والكلمة جسد ، فاستقصى ما وراء الجسد ، لتدرك حقيقة الروح .

ثم استطرد ابن عطاء الله يقول : ثم إنك اعتمدت في حكمك على ابن عربي ، على نصوص قد دسها عليه خصومه ، وأما شيخ الإسلام عز الدين بن عبد السلام فإنه لما فهم كتابات الشيخ ، وحل رموزها وأسرارها ، وأدرك إيحاءاتها استغفر الله عما سلف منه ، وأقر بأن محيي الدين بن عربي إمام من أئمة الإسلام .

وأما كلام الشاذلي ضد ابن عربي فليس أبو الحسن الشاذلي هو الذي قاله ، بل أحد تلاميذه من الشاذلية ، وهو ما قاله في الشيخ ابن عربي، بل قاله في بعض المريدين الذين فهموا كلامه على غير وجهه .

وسأل ابن عطاء الله مرة أخرى : وما رأيك في الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه؟ .

أجاب ابن تيمية رضي الله عنه وأرضاه : في الحديث الصحيح أن رسول الله بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ قال : « أنا مدينة العلم وعلى بابها » .

هو المجاهد الذي لم يبارز أحداً إلا غلبه ، فسن للعلماء والفقهاء من بعده أن يجاهدوا باللسان والقلم والسيف جميعاً في سبيل الله .

وكان كرم الله وجهه أقضى الصحابة ، وكلماته سراج منير استضيء به في حياته بعد الكتاب والسنّة : (وآه من قلة الزاد وطول السفر ووحشة الطريق !) .

فقال ابن عطاء الله : فهل يسأل أمير المؤمنين الإمام علي كرم الله وجهه عن بعض من شايجه ، فقالوا : أن جبريل أخطأ ، فجاء بالرسالة محدداً بِالْحَقِيقَةِ بدلاً من علي؟ أو عن الذين زعموا أن الله حل في جسده ، فصار الإمام إلهًا ، ألم يقاتلهم؟ ويقتلهم؟ أما أفتى بقتلهم أيّنا ثقّوا؟ ! .

قال ابن تيمية : (و بهذه الفتوى خرجت لقتالهم في الجبل بالشام منذ أكثر من عشرة أعوام) .

قال ابن عطاء الله : والإمام أحمد رضي الله عنه : أيسّال عما فعله بعض أتباعه ، من كبس الدور ، وإراقة الخمور ، وضرب المغنيات والراقصات واعتراض الناس في الطرقات باسم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، أفما أفتى رضي الله عنه بتعزير هؤلاء فجلدوا وسُجنوا وظيف بهم مقلوبين على ظهور الحمير ، أم هل الإمام أحمد رضي الله عنه مسؤول عن تلك الأعمال التي ما زال أراذل الحنابلة يأتونها حتى يومنا هذا باسم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

فالشيخ محبي الدين بن عربي بريء مما يصنعه أتباعه من إسقاط التكاليف الدينية ، واقتراف المحرمات ، أترى هذا .

قال ابن تيمية : ولكن أين تذهبون من الله وفيكم من يزعم أنه بِالْحَقِيقَةِ بشر الفقراء بأنهم يدخلون الجنة قبل الأغنياء ، فسقط الفقراء منجدبين ، ومزقوا ملابسهم ، وعندئذ نزل جبريل وقال للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إن الله تعالى يطلب حظه من هذه المزق فحمل جبريل واحدة منها ، وعلقها على عرشه تعالى ، ولهذا يلبس الصوفية المرقعات ويسمون أنفسهم الفقراء .

قال ابن عطاء الله: ما كل الصوفية يلبسون الخرق ، وهأنذا أمامك فما
تنكر من هيئتي؟!

قال ابن تيمية : أنت من رجال الشريعة ، وصاحب حلقة في الأزهر .

* * *

قال ابن عطاء الله : والغزالى كان إماماً في الشريعة والتتصوف على السواء
وقد عالج الأحكام والسنن والشريعة بروح المتصوف وبهذا المنهاج استطاع إحياء
علوم الدين .

نحن نعلم الصوفية أن القذارة ليست من الدين ، وأن النظافة من
الإيمان ، وأن الصوفي الصادق يجب أن يعمر قلبه بالإيمان الذي يعرفه أهل
السنة .

لقد ظهر بين الصوفية منذ قرنين من الزمان ، أشياء كالتي تنكرها الآن
واستخفوا بأداء العبادات ، واستهانوا بالصوم والصلوة ، وركضوا في ميدان
الغفلات... وادعوا أنهم تحرروا من رق الغفلات والأغلال، ثم لم يروضوا بما
تعاطوه من سوء هذه الأفعال، حتى أشاروا إلى أعلى الحقائق والأحوال كما
وصفهم القشيري الإمام الصوفي العظيم فوجه إليهم الرسالة القشيرية ، ترسم
طريق الصوفي إلى الله ، وهي تمسكه بالكتاب والسنّة . إن أئمة الصوفية يريدون
الوصول إلى الحقيقة ، ليس فقط بالأدلة العقلية التي تقبل العكس بل بصفاء
القلب ورياضته النفس ، وطرح الهموم الدنيوية ، فلا يشغل العبد بحب غير
الله ورسوله .

وهذا الانشغال السامي ، يجعله عبداً صالحأً ، جديراً بعمارة الأرض ،
وإصلاح ما أفسده حب المال والحرص على الجاه والجهاد في سبيل الله .

* * *

وقال ابن عطاء الله: إن الأخذ بظاهر المعنى يقع في الغلط أحياناً يا
فقيه ، ومن هذا رأيك في ابن عربي ، وهو إمام ورع من أئمة الدين ، فقد فهمت

ما كتبه على ظاهره ، والصوفية أصحاب إشارات وشطحات روحية ولكلماتهم أسرار .

قال ابن تيمية: هذا الكلام عليك لا لك .

فالقشيري^(١) لما رأى أتباعه يضللون الطريق قام عليهم ليصلحهم ، فماذا فعل شيخ الصوفية في زماننا؟؟!!.

إنما أريد من الصوفية أن يسيراً على سنة هذا السلف العظيم من زهاد الصحابة ، والتابعين وتابعاتهم بإحسان ، إنني أقدر من يفعل منهم ذلك وأراه من أئمة الدين .

أما الابداع ، وإدخال أفكار الوثنين من مفلسفة اليونان ، وبوذية المبند ، كادعاء الحلول والاتحاد ووحدة الوجود ، ونحو ذلك مما يدعوه إليه صاحبكم فهذا هو الكفر المبين .

* * *

قال ابن عطاء الله رضي الله عنه : ابن عربي^(٢) رضي الله عنه كان أكبر فقهاء الظاهر بعد ابن حزم^(٣) الفقيه الأندلسي المقرب إليكم يا عشر الخنابلة . كان ابن عربي ظاهرياً ، ولكنه يسلك إلى الحقيقة طريق الباطن ، أي تطهير الباطن ! وليس كل أهل الباطن سواء !!.

(١) القشيري : هو عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك بن طلحة النيسابوري القشيري ، زين الاسلام ؛ شيخ خراسان في عصره ، زهداً وعلمًا أقام بنисابور وتوفي فيها سنة ٤٦٥ هـ . راجع تاريخ بغداد (٨٣/١١) وطبقات السبكي (٢٤٣ - ٢٤٨) ووفيات الأعيان (٢٩٩/١).

(٢) ابن عربي : هو محمد بن علي بن محمد بن العربي أبو بكر الحامي الطائي الأندلسي المعروف بمحيي الدين بن عربي الملقب بالشيخ الأكبر والكبير الأحر وهو صاحب الفتوحات المكية ، فصوص الحكم وصاحب نظرية الحلول والاتحاد وهو إمام يجله الصوفية ويعتبرونه من الأقطاب والأولياء الخالصاء وقد كفره ابن تيمية ورماه بالزندقة . توفي سنة ٦٣٨ هـ .

ميزان الاعتدال (١٠٨/٣) فوات الوفيات (٢٤١/٢) ومفتاح السعادة (١٨٧/١) ولسان الميزان (٣١١/٥) وجامع كرامات الأولياء (١١٨/١).

(٣) ابن حزم : هو علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري ، أبو محمد : عالم الأندلس في عصره ، وأحد أئمة الإسلام ، ولد بقرطبة سنة ٣٨٤ هـ وتوفي في بادية (بلة) من بلاد الأندلس سنة =

ولكيلاً تضل أو تنسى أحد قراءة ابن عربي بفهم جديد لرموزه ، وإيحاءاته تجده مثل القشيري ، قد اتخذ طريقه إلى التصوف في ظل ظليل من الكتاب والسنة ، إنه مثل حجة الإسلام الشيخ الغزالي^(١) يحمل على الخلافات المذهبية في العقائد والعبادات ، ويعتبرها انشغالاً بما لا جدوى منه ، ويدعو إلى أن محبة الله هي طريقة العابد في الإيمان فماذا تنكر من هذا يا فقيه؟ أم أنك تحب الجدل الذي يمزق أهل الفقه ، لقد كان الإمام مالك رضي الله عنه يحذر من الجدل في العقائد ، ويقول: (كلما جاء رجل أجدل من رجل نقص الدين) .

قال الغزالي: « أعلم أن الساعي إلى الله تعالى لينال قربه هو القلب دون البدن ، ولست أعني بالقلب اللحم المحسوس ، بل هو سرّ من أسرار الله عزوجل لا يدركه الحس » .

إن أهل السنة هم الذين لقبوا الغزالي - شيخ المتصوفة - بحجة الإسلام ، ولا معقب على آرائه ، فقد غالى بعضهم في تقدير كتابه إحياء علوم الدين فقال: - « كاد إحياء أن يكون قرآناً » .

* * *

إن أداء التكاليف الشرعية في رأي ابن عربي ، وابن الفارض ، عبادة محرابها الباطن ، لا شعائر ظاهرية ، فما جدوى قيامك وقعودك في الصلاة إذا

= ٤٥٦ = حيث جا إليها طريداً من ملوك وسلطانين الأندلس ، حيث اتهمه فقهاء عصره وعلمائه بالادعاء عليه لأنّه تناولهم وانتقدتهم فاستطالوا عليه وسعوا بالفتنة والمؤامرات عليه. وقد خلف ابن حزم نحواً من أربعون محدثاً مجلداً وهو ما يقع في قرابة ثمانين ألف ورقة .
فتح الطيب (١/٣٦٤) ولسان الميزان (٤/١٩٨) ووفيات الأعيان لابن خلkan (١/٣٤٠) واللباب (١/٢٩٧).

(١) الغزالي: هو محمد بن محمد بن عبد الله بن حامد الغزالي الطوسي ، فيلسوف المتصوفة ، وإمام الباطنية ، لقب حجة الإسلام ، له نحو مائتي مصنف ولد سنة ٤٥٠ هـ وتوفي سنة ٥٠٥ هـ بالطايبران (قصبة طوس بخراسان) ورحل إلى نيسابور ثم إلى بغداد فالحجاز ثم بلاد الشام ثم مصر ، ثم عاد أخيراً إلى بلدته وتوفي فيها رحمة الله .
وفيات الأعيان (١/٤٦٣) وطبقات الشافعية (٤/١٠١) ومفتاح السعادة (٢/١٩١ - ٢١٠) وأداب اللغة (٣/٩٧).

كنت مشغول القلب بغير الله؟! . مدح الله تعالى أقواماً بقوله تعالى ﴿الذين هم في صلاتهم خاشعون﴾^(١) وذم أقواماً بقوله: ﴿الذين هم عن صلاتهم ساهون﴾^(٢) وهذا هو الذي يعنيه ابن عربى بقوله إن التعبد محرا به القلب أي الباطن لا الظاهر .

إن المسلم لا يستطيع أن يصل إلى إدراك علم اليقين ، وعين اليقين ، إلا إذا أفرغ قلبه مما يشوش عليه من أطماء الحياة الدنيا ، وركز في التأمل الباطني فغمته فيوض الحقيقة ، ومن هنا تنبع قوته .

* * *

الصوفي الحق - كما يقول ابن عطاء الله - ليس هو الذي يستجدي قوته ، ويكتفف الناس ، إنما هو الصادق الذي يهب روحه وقلبه ، ويعني في الله بطاعة الله ، ومن هنا تنبع قوته ، فلا يخاف غير الله .

ولعل ابن عربى قد أثار عليه بعض الفقهاء لأنه أزرى على اهتمامهم بالجدل في العقائد ، مما يشوش على صفاء القلب ، ثم في وقوع الفقه وافتراضاته فأسماهم (فقهاء الحيض) وأعيذك بالله أن تكون منهم .

ألم تقرأ قول ابن عربى (من يبني إيمانه بالبراهين والاستدلالات فقط لا يمكن الوثوق بإيمانه ، فهو يتاثر بالاعتراضات ، فالإيقين لا يستتبط بأدلة العقل إنما يعترف من أعماق القلب) .

ألم تقرأ هذا الكلام الصافي العذب قط؟!!

(١) المؤمنون (٢/٢٣) .

قال ابن عباس عن قوله تعالى ﴿الذين هم في صلاتهم خاشعون﴾ أي خائفون ساكنون ، متذللون في صلاتهم لجلال الله وعظمته لاستيلاء الهيئة على قلوبهم .

(٢) الماعون (٥/١٠٧) لما نزلت هذه الآية قال ابن عباس: الحمد لله الذي قال «عن صلاتهم» ولم يقل «في صلاتهم» فما من أحد إلا وهو يسهو في الصلاة . وقال المفسرون إنه تعالى لما قال (عن صلاتهم) علم أنها في المنافقين .

راجع الفخر الرازي الكبير (٣١/١٦٢) بتصرف وكذلك الجامع لأحكام القرآن (٢٠/٢١١) ط. دار الكتب .

قال ابن تيمية : أحسنت والله - إن كان صاحبك كما تقول فهو أبعد الناس عن الكفر ، ولكن كلامه لا يحمل على هذه المعانى فيما أرى .

قال ابن عطاء الله : إن له لغة خاصة ، وهي ملائكة بالإشارات والرموز والإيحاءات ، والأسرار والشطحات .

ولكن فلنستغل بما هو أجدى ، وبما يحقق مصلحة الأمة فلنستغل بدفع الظلم ، وحماية العدل المنتهك ، أرأيت ما فعله بيبرس وسلام بالرعاية منذ خلع الناصر نفسه ، فانفرد بالحكم ، وإن عاد السلطان الناصر وهو يؤثرك على كل الفقهاء . ويستمع لك فأسرع إليه وانصح له .

ابن مطهر^(١) وابن تيمية يتحاوران

قال تعالى: - « ولا تنسوا الفضل بينكم » والعالم حرى بأن يتصرف بالفضل لا سبباً مع خلق الله ، ولا سبباً مع الخاصة منهم الذين أنعم الله عليهم بالعلم والفقه والفهم ، ومن آداب المحاورة أن يحترم القرن مناواةً له مهما احتملت حدة الجدل ، وإن أصعب شيء على الحر أن يسكت على خطأ ، وصاحب الحق مدفوع ، إنما يجب أن يملك نفسه ويضبط سورة غضبه .

(١) وهذه الشذرات مختارة من كتاب (المتقى) للحافظ الذهبي رحمه الله ، وقد انفرد بنشرها في كتب صغير (محمد مال الله) تحت عنوان (مطارق النور تبدد أوهام الشيعة) من سلسلة (ما أنا عليه وأصحابي) ط. دار الأنصار بالقاهرة. فنقلنا منها ما تسير بتصريف وحذف وزيادات بعد المراجعة على الأصل.

وابن مطهر: هو الحسن بن يوسف بن علي بن المظفر الحلي جمال الدين يعرف بالعلامة ، وهو شيخ الروافض ومن أئمة الشيعة وأكبر علمائها ، وكان من سكان الحلة (بالعراق) وتوفي سنة ٧٢٦ هـ .

راجع روضات الجنات (٥/٢) والدرر الكامنة (٢/٧١) وفيه اسمه الحسين وقيل اسمه الحسن ، والنجمون الظاهرة (٩/٢٦٧).

وله تصانيف كثيرة تربو على مائة وعشرين مجلداً ، وعدتها حسن وحسون مصنفاً ، وله مجلدان في أصول الفقه ، وله كتاب (منهاج الاستقامة في إثبات الإمامة ، خلط فيه بين المعقول والمنقول ، وخرج عن طريق الاستقامة بغير وعي ، وقد انتدب ابن تيمية للرد عليه في مجلدات يقول عنها ابن كثير في تاريخه المشهور [أقى فيها ابن تيمية بما يبهر العقول من الأشياء المليحة الحسنة] ثم يقول بعد ذلك ابن كثير عن ابن مطهر [ابن مطهر الذي لم تظهر خلافته ولم ينطهر من دنس الرفض] البداية والنهاية (١٤/١٢٥).

وفي مناظرة ابن تيمية مع ابن مطهر عونَ أي عون على عمق التحاور في فقه وأدب واحتشام وإن لم يتصف بذلك أهل العلم فمن يكون أولى به منهم !!؟؟.

قال ابن مطهر : الإمامة هي أهم المطالب في أحكام الدين ، والتي يحصل بسبب إدراكتها نيل درجة الكراهة ، وهي أحد أركان الإيمان المستحق بسببيه للخلود في الجنان . فقد قال رسول الله ﷺ : - « من مات ولم يعرف امام زمانه مات ميتة جاهلية » .

ابن تيمية : ان الإمامة (أهم المطالب) كذب بالإجماع إذ الإيمان أهم ، فمن المعلوم بالضرورة أن الكفار على عهد النبي ﷺ كانوا إذا أسلموا أجري عليهم أحكام الإسلام ولم تذكر لهم الإمامة بحال فكيف تكون أهم المطالب؟.

أم كيف يكون الإيمان بإماماً محمد بن الحسن المنتظر من أربعمائة ونيف وستين سنة ليخرج من سردار سامراء أهم من الإيمان بالله ولملائكته وكتبه ورسله ولقائه؟.

وإن كان ما بأيديكم كافياً في الدين فلا حاجة إلى المنتظر ، وإن لم يكن كافياً ، فقد أقررتם بالنقص والشقاء حيث كانت سعادتكم موقوفة على أمر أمر لا تعلمون لماذا أمر؟.

وقولك «إن الإمامة أحد أركان الدين» جهل وبهتان فإن النبي ﷺ فسر الإيمان وشعبه ، ولم يذكر (الإمامـة) في أركانه ، ولا جاء ذلك في القرآن .

وأما قولك في الحديث «من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية» فنقول: من روى هذا؟ وأين إسناده؟ بل والله ما قاله الرسول ﷺ هكذا.

ثم لو صحت الحديث الذي أوردته لكان عليكم لا لكم ، فمن منكم يعرف

إمام الزمان أو رآه أو رأى من رآه، أو حفظ عنه مسألة؟ . بل تدعون إلى صبي - ابن ثلاث أو خمس سنين - دخل سردايا من أربعمائة وستين عاماً، ولم ير له عين ولا أثر، ولا سمع حس ولا خبر، وإنما أمرنا بطاعة أئمة موجودين معلومين لهم سلطان، وأن نطعهم في المعروف دون المنكر .

ابن مطهر : إن الله تعالى نصب أولياء معصومين لئلا يخل العالم من لطفه .

ابن تيمية : أنتم تقولون : إن الأئمة المعصومين مقهورون مظلومون عاجزون ، ليس لهم سلطان ولا قدرة حتى أنكم تقولون ذلك في علي رضي الله عنه منذ مات النبي ﷺ إلى أن استخلف ، وفي الاثني عشر ، وتقررون أن الله تعالى ما مكنتهم ولا ملکتهم وقد قال الله تعالى ﴿فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مِلْكًا عَظِيمًا﴾^(١) .

فإن قيل : المراد بتصفهم انه قد أوجب عليهم طاعتهم فإذا أطاعوهم هدوهم ، ولكن الخلق عصوهم .

فيقال : لم يحصل - مجرد ذلك - في العالم لا لطف ولا رحمة ، بل حصل تكذيب الناس لهم ومعصيتهم إياهم والمتضرر ما انتفع به من أقر به ولا من جحده .

وأما سائر الاثني عشر - سوى علي رضي الله عنه - فكانت المنفعة بأحدهم الملنفة بأمثاله من أئمة الدين والعلم ، وأما المنفعة المطلوبة من أولي الأمر فلم تحصل بهم . فتبين أن ما ذكرته من اللطف تلبيس وكذب .

ابن مطهر : أخذ المعصومون عن جدهم .

(١) النساء (٤/٥٤).

ابن تيمية : إنما تعلموا حديث جدهم من العلماء ، وهذا متواتر، فعلي بن الحسين ، يروي عن أبان بن عثمان عن أسامة بن زيد ، ومحمد بن علي يروي عن جابر وغيره ، وما فيهم من أدرك النبي ﷺ إلا على وولده .

وهذا على يقول : إذا حدثتكم عن رسول الله ﷺ فوالله لأن آخر من السماء إلى الأرض ، أحب إلى من أن أكذب عليه ، وإذا حدثتكم فيما يبني وبينكم فإن الحرب خدعة ، وهذا كان يقول القول ويرجع عنه ، وكتب الشيعة ملوعة بالروايات المختلفة عن الأئمة .

ابن مطهر : إننا ننتقل بذلك ونتناقله خلفاً عن سلف إلى أن تتصل الرواية بأحد المعصومين .

ابن تيمية : إن كان ما تقول حقاً فالنقل عن المعصوم الواحد كاف . فـأـيـ حاجةـ فيـ كـلـ زـمـانـ إـلـىـ مـعـصـومـ ؟ـ إـذـاـ كـانـ النـقـلـ كـافـيـاـ فـأـنـتـمـ فـيـ نـقـصـانـ وـجـهـلـ مـنـ أـرـبـعـمـائـةـ وـسـتـيـنـ سـنـةـ .

ثم الكذب من الرافضة على هؤلاء يتجاوزون به الحد، لا سيما على جعفر الصادق حتى كذبوا عليه كتاب الجفر ، والبطاقة ، وكتاب اختلاج الأعضاء ، وأحكام الرعد والبروق ، ومنافع القرآن ، فكيف يثق القلب بنقل من كثر منهم الكذب ، إن لم يعلم صدق الناقل ، واتصال السند ، وقد تعدى شرهم إلى غيرهم من أهل الكوفة ، وأهل العراق حتى كان أهل المدينة يتوقعون أحاديثهم ، وكان مالك يقول : نزلوا أحاديث أهل العراق منزلة أحاديث أهل الكتاب لا تصدقوهم ولا تكذبواهم . والرافضة أكذب من كل طائفة باتفاق أهل المعرفة بآحوال الرجال .

ابن مطهر : إنهم أخذوا مذهبهم عن المعصومين .

ابن تيمية : لا تسلم أنكم أخذتم مذهبكم عن أهل البيت ، فإنكم

تختلفون علياً - رضي الله عنه - وأئمة أهل بيته في الأصول والفروع : فإنهم يشترون الصفات ، والقدر ، وخلافة ثلاثة رضي الله عنهم ، وفضلهم إلى غير ذلك . وليس لكم أسانيد متصلة حتى نظر فيها ، والكذب فمتوفر عندكم ، فإن ادعوا تواتر نص هذا على هذا ، ونص هذا على هذا كان معارضًا بداعوى غيرهم مثل هذا التواتر ، فإن سائر القائلين بالنص إذا ادعوا مثل هذه الداعوى لم يكن بين الدعويين فرق ، ثم هم محتاجون في مذهبهم إلى مقدمتين :

إحداهما : عصمة من يضيفون المذهب إليه .

والثاني : ثبوت ذلك النقل عنه .

وكلاهما لا دليل لهم عليه .

ابن مطهر : أهل السنة لم يلتفتوا إلى القول بالرأي والاجتهاد وحرموا القياس .

ابن تيمية : الشيعة في ذا كالسنة : فيهم أهل رأي وفيهم أهل قياس ، وفي السنة من لا يرى ذلك .

والمعزلة البغداديون لا يقولون بالقياس ، وخلق من المحدثين يذمون القياس ، وأيضاً فالقول بالرأي والقياس خير من الأخذ بما ينقله من عرف بالكذب ، نقل غير مصدق عن قائل غير معصوم .

ولا ريب أن الاجتهاد في تحقيق الأئمة الكبار لمناط الأحكام وتنقيحها وتخريجها خير من التمسك بنقل الرافضة عن العسكريين ، فإن مالك والليث والأوزاعي والثوري وأبا حنيفة والشافعي وأحمد وأمثالهم رضي الله عنهم أعلم من العسكريين بدین الله تعالى ، والواجب على مثل العسكريين أن يتعمدوا من الواحد من هؤلاء . . . ومن المعلوم أن علي بن الحسين وأبا جعفر ، وجعفر بن محمد كانوا هم العلماء الفضلاء وأن من بعدهم لم يعرف عنه من العلم ما عرف

عن هؤلاء ومع هذا فكانوا يتعلمون من علماء زمانهم ، ويرجعون إليهم .

ابن مطهر : أهل السنة لم يثبتوا العدل والحكمة .

ابن تيمية : هذا نقل باطل عنهم من وجهين :

إحداهما : أن كثيراً من أهل النظر الذين ينكرون النص يثبتون العدل والحكمة ، كالمعتزلة ومن واقفهم ، ثم سائر أهل السنة ما فيهم من يقول إنه تعالى ليس بحكيم ، ولا أنه يفعل قبيحاً ، فليس في المسلمين من يتكلم بإطلاق هذا إلّا حل دمه .

(ابن مطهر : أهل السنة يقولون إن الله يفعل الظلم والعبث .)

(ابن تيمية : إن هذا القول لم يقل به مسلم . تعالى الله عن ذلك . بل يقولون خلق أفعال العبادة - إذا قال ﴿ هو خالق كل شيء﴾ التي هي من فاعلها لا هي ظلماً من خالقها . كما أنه إذا خلق عبادتهم وحاجتهم وصومهم لم يكن هو حاجاً ولا صائماً ولا عابداً ، وكذا إذا خلق جوعه لم يسمى جائعاً . فالله تعالى إذا خلق في محل صفة أو فعل لم يتصف هو بتلك الصفة ، ولا بذلك الفعل ، ولو كان كذلك لا تصف بكل ما خلقه من الأعراض .)

ابن مطهر : إنهم يقولون - أي أهل السنة - إن المطبع لا يستحق ثوابه والعاصي لا يستحق العقاب ، بل قد يعذب النبي ، ويرحم إبليس .

ابن تيمية : هذه فريدة أخرى على أهل السنة ، وما فيهم من يقول : إنه يعذب نبياً ، ولا أنه يثبت إبليس ، بل قالوا يجوز أن يغفو عن المذنب ، وأن يخرج أهل الكبائر من النار ، فلا يخليد فيها أهل التوحيد أحداً . وأما الاستحقاق فهم يقولون : إن العبد لا يستحق بنفسه على الله شيء .

ويقولون إنه لا بد أن يثبت المطيعين كما وعد فإن الله تعالى لا يخالف وعده .

وأما إيجاب ذلك على نفسه ، وإمكان معرفة ذلك بالعقل فهذا فيه نزاع ،
لكن لو قدر أنه عذب من يشاء لم يكن لأحد منعه كما قال تعالى : « كُلُّ فِرْمَعْنَوْنَ مِنَ الَّهِ شَيْئاً إِنْ أَرَادَ أَنْ يَهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرِيمَ وَأَمَّهُ ، وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً » ^(١) .

وهو تعالى لو ناقش من ناقشه من خلقه لعذبه كما قال عليه السلام « مَنْ نُوقِشَ الْحِسَابَ عُذْبَ » ^(٢) وقال ﷺ : « لَنْ يَدْخُلَ أَحَدٌ مِنْكُمُ الْجَنَّةَ بِعَمَلِهِ » ^(٣) ،
قالوا : « وَلَا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : « وَلَا أَنَا إِلَّا أَنْ يَتَغْمَدَنِي اللَّهُ بِرَحْمَةِ مِنْهُ وَفَضْلِهِ » .

والتحقيق أن قدر أن الله تعالى عذب أحداً فلا يعذبه إلّا بحق لأنه يتعالى عن الظلم .

ابن مطهر : أهل السنة يقولون إن النبي ﷺ لم ينص على إمامية أحد ،
 وأنه مات عن غير وصية .

ابن تيمية : هذا ليس في قول جميعهم ، بل ذهب من أهل السنة جماعة ،
أن إمامية أبي بكر رضي الله عنه ثبتت بالنص .

قال ابن حامد : الدليل على إثبات خلافة الصديق رضي الله عنه بالنص
ما أسنده البخاري عن جبير بن مطعم قال : « أتت امرأة إلى النبي ﷺ فامرها

(١) المائدة (١٧/٥).

(٢) الحديث متفق عليه عن عائشة مرفوعاً ، وعند الطبراني عن ابن الزبير « من نوقش الحساب هلك » وأورده العجلوني في كشف الخفا (٢/٣٩٢) ط. دار التراث بمصر.

قالت السيدة عائشة للنبي ﷺ : إنك دائمًا تكثر من الدعاء « اللهم حاسبني حسابة يسيراً » فقال عليه الصلاة والسلام : « إنما ذلك العرض » وما من عبد ينقاش يومئذ إلا هلك » أو بخوبه .

(٣) وهذا يدعونا على العمل الصالح والمسارعة للمغفرة والتوبة ، ودعاء الله سبحانه وتعالى أن يتتجاوز
عنا وأن يصفح عن مسيتنا .

أن ترجع إليه ، فقالت : أرأيت إن جئت ولم أجده ؟ كأنها تريد الموت - قال : إن لم تجديني فاتي أبا بكر» .

ابن مطهر : إنهم يقولون إن الأنبياء غير معصومين .

ابن تيمية : باطل ، بل اتفقوا على عصمتهم فيها يبلغونه ، وهو مقصود الرسالة . وهم متزهون عن كل ما يقدح في نبوتهم .

- [ابن مطهر : لا يجوز على الأنبياء سهو .]

- [ابن تيمية : لا أعلم أحداً قاله .]

ابن مطهر : ذهبت الأشاعرة إلى أن الله يرى بالعين ، مع أنه مجرد عن الجهات ، وقد قال الله تعالى : - « لا تدركه الأبصار »

ابن تيمية : أما رؤيته في الآخرة بالأبصار فهو قول السلف والأئمة ، وتواترت به الأحاديث . ثم جمهور القائلين بالرؤيا ، يقولون يرى عياناً مواجهة كما هو المعروف بالعقل .

قال عليه السلام : « إنكم سترون ربكم عز وجل يوم القيمة كما ترون الشمس ، لا تضامون في رؤيته »^(١) وفي لفظ « هل تضارون في رؤية الشمس

(١) وقد ورد هذا الحديث في كتاب السنة لابن أبي عاصم الشيباني بروايته المختلفة وقام بتخريجها الشيخ الألباني ، ومن روایاته : عن جرير قال : كنا جلوساً عند رسول الله ﷺ فنظر إلى القمر ليلة البدر فقال : « أما إنكم مستعرضون على ربكم فترونه ، كما ترون هذا القمر ، لا تضارون في رؤيته » وقال الألباني « إسناده صحيح على شرط الشيفيين » أهـ . وقد أخرجه مسلم (٢/ ٣٦٥) وأخرجه أبو داود (٤٧٢٩) والترمذى (٢/ ٩٠) وابن ماجة (١٧٧) وأحمد (٤/ ٣٦٥) والأجرى (ص ٢٥٨) . وفي رواية عن عطاء بن يزيد عن أبي هريرة أنه أخبره أن الناس قالوا : يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيمة ؟ فقال رسول الله ﷺ : - « هل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر ليس دونه سحاب ؟ » فقالوا : لا يا رسول الله فقال : هل تضارون في رؤية الشمس ليس دونها سحاب ؟ فقالوا : لا يا رسول الله ، قال : أما إنكم ترونوه هكذا يوم القيمة » وإسناده حسن صحيح ، رجال ثقات رجال الشيفيين ، غير محمد بن عثمان صدوق يختفي ، وأخرجه البخاري (٤٦١) ومسلم (١١٢).

صحواً ليس دونها سحاب » قالوا : لا ، قال : « فهل تضارون في رؤية القمر صحواً ليس دونه سحاب؟ » قالوا : لا . « فإنكم ترون ربكم ، كما ترون الشمس والقمر » .

ابن مطهر : هم يرون القول بالقياس والرأي ، فأدخلوا في دين الله ما ليس منه ، وحرفوا أحكام الشريعة .

ابن تيمية : إن هذا وارد عليكم ، فالزيدية تقول بالقياس ثم القياس خير من تقليد من يبلغ في العلم مبلغ المجتهدين كمالك والثوري والشافعي وأحمد ، وهم أعلم وأفقه من العسكريين .

وقولك : « أدخلوا في دين الله ما ليس منه وحرفوا أحكام الشريعة » فهذا ليس في طائفة أكثر من الرافضة ، فإنهم كذبوا على الرسول ﷺ ما لم يكتبه غيرهم ، وردوا من الصدق ما لا يخصى ، وحرفوا حيث قالوا : « مرج البحرين »^(١) علي وفاطمة ، « يخرج منها اللؤلؤ والمرجان »^(٢) هما الحسن والحسين ، « في إمام مبين »^(٣) علي ، عمران العالمين) ﴿ وَآلْ أَبِي طَالِبٍ وَسَمِّوْا أَبَا طَالِبٍ عُمَرَانَ .

(والشجرة الملعونة)^(٤) بنو أمية و (أن تذبحوا بقرة)^(٥) عائشة رضي الله

(١) الرحمن (١٩/٥٥) ويقصد بالبحرين البحر المالح والبحر العذب يلتقيان ولا يمترزان .

(٢) الرحمن (٢٢/٥٥) يقول الإمام محمد شكري الألوسي رحمه الله : - « اللؤلؤ صغار الدر، والمرجان كباره ، وهذا من قول ابن عباس ، وابن مسعود رضي الله عنه يقول: أن المرجان هو الخرز الآخر» روح المعاني (١٠٦/٢٧) بتصرف .

(٣) يسن (١٢/٣٦) والمقصود بالإمام المبين هو الكتاب المسطور وهو صحائف الأعمال ، وهو الشاهد على الإنسان بالخير والشر . وقد قال قتادة ومجاهد: هو اللوح المحفوظ ، راجع صفة التفاسير (١١٨٢/٢٢) بتصرف .

(٤) الإسراء (٦٠/١٧) .

وقد ورد أنه لما أخبرهم رسول الله ﷺ أنه رأى الجنة والنار ورأى شجرة الرقوم ، كذبوا ذلك حتى قال أبو جهل متهمكاً: هاتوا لنا قمراً وزبداً وجعل يأكل من هذا بهذا ويقول: تزقمو ، فلا نعلم الرقوم غير هذا . مختصر ابن كثير بتصرف (٣٨٦/٢) .

(٥) البقرة (٦٧/٢) .

عنها . « لئن أشركت ليحيطن عملك » لئن أشركت بين أبي بكر وعمر رضي الله عنها ، ونحو ذلك مما وجدته في كتبهم ، ومن ثم دخلت الإسماعيلية في تأويلات الواجبات والمحرمات ، فهم أئمة التحريف .

ابن مظير : إن الإمامية جازمون بحصول النجاة لهم لأنهم قاطعون بذلك وأهل السنة لا يجزمون بذلك .

ابن تيمية : إن كان اتباع أئمتك الذين تدعى لهم الطاعة المطلقة صواباً وأن ذلك يوجب لهم النجاة ، كان اتباع خلفاءبني أمية مصيّبين لأنهم كانوا يعتقدون أن طاعة الأئمة واجبة في كل شيء ، وأن الإمام لا يؤاخذه الله سبحانه وتعالى بذنب ، وأنهم لا ذنب لهم فيما أطاعوا فيه الإمام . بل أولئك أولى بالحجارة من الشيعة لأنهم كانوا مطهرين أئمة أقامهم الله ونصبهم وأيدهم ولملوكيهم ، ولهذا حصل لأتباع خلفاءبني أمية من المصلحة في دينهم ودنياهم أعظم مما حصل لأتباع المتصدق .

وإن أهل السنة يجزمون بحصول النجاة لأنهم أعظم من جزم الرافضة وذلك أن أئمتهما بعد النبي ﷺ هم السابقون من المهاجرين والأنصار ، وهم جازمون بحصول النجاة هؤلاء ، ويشهدون بأن العشرة المبشرة في الجنة ، ويشهدون أن الله تعالى قال لأهل بدر : إعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم ، ويقولون أنه لا يدخل النار أحدٌ بايع تحت الشجرة كما ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ ، فهوئلاء أكثر من ألف وأربعين إمام لأهل السنة يشهدون أنه لا يدخل النار فيهم أحد ، وهي شهادة بعلم كما دل على ذلك الكتاب والسنة بخلاف الرافضة فإنهم إن شهدوا ، شهدوا بما لا يعلمون ، وشهدوا بالزور الذي يعلمون إنه كذب ، وهم كما قال الشافعي رضي الله عنه : « ما رأيت قوماً أشهد بالزور من الرافضة » .

ـ [ابن مظير : يجعلو مفتراً في كونه عالماً ، إلى ثبوت معنى هو العلم .

ابن تيمية : هذا يرد على مثبتة الحال ، وأما الجمهور فعندهم كونه عالماً هو العلم ، وبتقدير أن يقال كونه عالماً مفتراً إلى العلم الذي هو لازم لذاته ليس

في هذا إثبات فقر له إلى غير ذاته ، فإن ذاته مستلزمة للعلم . والعلم مستلزم لكونه عالماً ، فذاته هي الموجبة لهذا ، فالعلم كمال ، وكونه عالماً كمال ، فإذا أوجبت ذاته هذا وهذا كان كما لو أوجبت الحياة والقدرة .

(ابن مطهر : لم يجعلوه عالماً لذاته ، قادرًا لذاته .)

ابن تيمية : إن أردت أنهم لم يجعلوه عالماً قادرًا لذات مجردة عن العلم والقدرة كما يقول نفاة الصفات أنه ذات مجردة عن الصفات فهذا حق ، لأن الذات المجردة عن العلم والقدرة لا حقيقة لها في الخارج ولا هي الله ، وإن أردت أنهم لم يجعلوه عالماً قادرًا لذاته المستلزمة للعلم والقدرة ، فهذا غلط عليهم ، بل نفس ذاته الموجبة لعلمه وقدرته هي التي أوجبت كونه عالماً قادرًا ، وأوجبت علمه وقدرته ، فإن هذه الأمور متلازمة .

ابن مطهر : جعلوه محتاجاً ناقصاً في ذاته كاملاً بغيره .

ابن تيمية : كلام باطل ، فإنه هو الذات الموصوفة بالصفات الازمة لها .
وما في الخارج ذات مجردة عن صفات ، وليس صفات الله غير الله .

ابن مطهر : ذهب بعضهم إلى أن الله ينزل كل ليلة جمعة بشكل أمرد راكباً على حمار ، حتى أن بعضهم بيغداد وضع على سطحه معفاً يضع فيه شعيراً كل ليلة جمعة ، لجواز أن ينزل الله سبحانه وتعالى على سطحه فيشتغل الحمار بالأكل ، ويشتغل رب بالنداء . هل من تائب؟ .

ابن تيمية : هذا كذب وأمثاله أوريجا وقع لجاهل مغمور ، ليس بقول عالم ولا معروف ، وقد صان الله تعالى علماء السنة بل وعماتهم من قول هذا الهدىيان الذي لا ينطلي على الصبيان . ثم لم يروا في ذلك شيئاً ، لا بإسناد ضعيف ولا بإسناد مكذوب ، ولا قال أحد أنه تعالى ينزل ليلة الجمعة إلى الأرض ولا أنه في شكل أمرد .

وما أكثر الكذب في العالم ، ولكن تسعة عشراته أو أقل أو أكثر بأيدي الرافضة .

وأما أحاديث التزول إلى السماء الدنيا فمتواترة ، وحديث دنوه عشية عرفة
فأخرجها مسلم ، ولا نعلم كيف ينزل ، ولا كيف استوى .

ابن مطهر : إن العبد لا تأثير له في الكفر ولا العاصي .

ابن تيمية : تقول باطل ، بل جمهور من أثبت القدر يقول أن العبد فاعل
بفعله حقيقة ، وإن له قدرة واستطاعة . ولا ينكرون تأثير الأسباب الطبيعية ،
بل يقرون بما دلّ عليه الشرع والعقل من أن الله تعالى يخلق السحاب بالرياح ،
وينزل الماء بالسحاب ، وينبت النبات بالماء ، والله خالق السبب والسبب ، ومع
أنه خالق السبب فلا بد له من سبب آخر يشاركه ، ولا بد له من معارض
يمنعه ، فلا يتم أثره - مع خلق الله تعالى له - إلّا بأن يخلق الله تعالى السبب
الآخر ويزيل الموانع ، ولكن ما قلته هو قول الأشعري ومن وافقه ، لا يثبتون في
المخلوقات قوى ولا طبائع ، ويقولون : قدرة العبد لا تأثير لها في الفعل .

وأبلغ من ذلك قول الأشعري : إن الله فاعل فعل العبد وإن فعل العبد
ليس فعله بل كسب له ، وإنما هو فعل الله تعالى فقط . وجمهور الناس والسنّة
على خلاف قوله ، وعلى أن العبد فاعل لفعله حقيقة .

ابن مطهر : - أباحوا البنت من الزنا ، وسقوط الحد على من نكح أمه
وأخذته عالماً بالتحريم ، وعن اللائط . وإلحاد نسب المشرقية بالغربي ، فإذا زوج
ابنته وهي في المشرق برجل هو وأبوها في المغرب ، ولم يفارقه لحظة حتى مضت
له ستة أشهر فولدت البنت الحق المولود بالرجل . وإباحة النبيذ والوضوء به مع
مشاركته الخمر في الإسكار . والصلوة في جلد الكلب ، وأوجبوا الحد على الزاني
إذا كذب الشهود ، وأسقطوه إذا صدقهم ، فأسقطوا الحد مع الاجتماع والبينة ،
وأباحوا أكل الكلب ، واللواط بالعبد ، وأباحوا الملاهي .

ابن تيمية : ما من مسألة من هذه المسائل إلّا وجمهور السنّة على خلافها .
وأنتم يوجد فيكم - عشر الرافضة - أما اتفاقاً وأما اختلافاً أضعاف ذلك ، كترك
الجمعة والجماعة وتعطلون المساجد ، وتعمرتون المشاهد التي على القبور ، كما
صنف منكم (المفید) كتاباً سماه (مناسك حج المشاهد) وفيه الكذب والشرك ،

ومنها تأخير صلاة المغرب ، وتحريم ذبائح الكتابيين وتحريم نوع من السمك ، وتحريم بعضهم لحوم الإبل ، وجعلهم الميراث كله للبنات دون العم ، وصوم بعضهم بالعدد لا بالأهلة ، وإحلال المتعة ، فاما المخلوق من الزنا فمفرد الشافعي رضي الله عنه ، ولم يكن أحد بن حنبل رضي الله عنه يظن فيها خلافاً بحيث أنه أفتى بقتل من يفعل ذلك . وأما عقده على ذوات المحارم فأبا حنيفة رضي الله عنه جعل ذلك شبهة لدرء الحد لوجود صورة العقد ، وأكثر السلف يقتلون اللائط . وقيل ذلك إجماع الصحابة . وسقط الحد من مفردات أبي حنيفة رضي الله عنه ، وكذا إلحاقي ولد المشرقة بالذى بالذى بالمغرب ، وعنه أن النسب يقصد به الميراث ثم يا راضى منذ ساعة كنت تنكر القياس ، وهنا تحتاج به على أبي حنيفة رضي الله عنه .

وتقول في النبيذ مع مشاركته للخمر في الإسكار ، فهلا احتججت بالنص (كل مسكر خمر، وكل خمر حرام)^(١) .

وأما الحد مع الشهود فمأخذ أبي حنيفة رضي الله عنه ، أنه أقر سقط حكم الشهادة ، ولا يأخذ بالإقرار إلا أربع مرات . وأما الجمهور فيقولون بالإقرار يؤكّد حكم الشهادة ، وأما اللواط بالعبد ، فكذب ما قاله ، وكأنه قد قصد التشنيع والأئمة رضي الله عنهم متذمرون من استحل المماليك بغيره .

ابن مطهر : وأحدثوا مذاهب أربعة ، وأهلوا أقاويل الصحابة .

ابن تيمية : متى كانت مخالفة الصحابة منكراً عندكم ؟ ومن الذي يخالف إجماع الصحابة ، نحن أو أنتم ؟ ومن الذي كفّرهم وضلّلهم ؟ إن أهل السنة لا يتصور أن يتافقوا على مخالفة إجماع الصحابة وأما الإمامية ، فلا ريب أنهم متذمرون على مخالفة إجماع العترة النبوية مع مخالفة إجماع الصحابة ، فإنه لم يكن في العترة النبوية بني هاشم - على عهد رسول الله ﷺ - وأبي بكر وعمر وعثمان

(١) الحديث ورد برواية (كل مسكر خمر، وكل مسكر حرام) وبزيادة (ومن شرب الخمر في الدنيا فمات وهو يدمنها لم يتبع لم يشربها في الآخرة) رواه احمد في مسنده عن ابن عمر، وصححه السيوطي في الجامع الصغير (٩٤/٢) ط. العلمية.

وعلى رضي الله عنهم . من يقول بإماماة إثنا عشر ولا بعصمة أحد بعد النبي ﷺ ، ولا بکفر الخلفاء الثلاثة رضي الله عنهم ، بل ولا من يطعن في إمامتهم ، بل ولا من يکذب بالقدر . فالامامية بلا ريب متفقون على مخالفة العترة النبوية ، مع مخالفتهم لإجماع الصحابة . فكيف ينكرون على من خالف إجماع الصحابة ؟ .

وأما المذاهب فإن أراد إنهم اتفقوا على إحداثها مع مخالفة الصحابة رضي الله عنهم فهذا كذب عليهم ، فإن الأربعة رضي الله عنهم ، لم يكونوا في وقت واحد ، ولا كان فيهم من يقلد الآخر ، ولا من أمر الناس باتباعه ، بل كل منهم يدعو إلى متابعة الكتاب والسنّة ، ويرد على صاحبه . وإن قلت : إن الناس اتبعوا الأربعة فهذا أمر اتفاق . وأما الشيعة فكل ما خالفوا فيه الجمهور فهم مخطئون فيه ، والأربعة لم يخترعوا علمًا لم يكن ، بل جمعوا العلم ، فأضيف ذلك إلى الواحد منهم ، ثم لم يقل أهل السنّة إن إجماع الأربعة حجة معصومة ، ولا أن الحق منحصر في قولهم ، وإنما خرج عنه باطل .

ابن مظہر : بعضهم طلب الأمر لنفسه بغير حق ، وبايده أكثر الناس للدنيا .

ابن تيمية : تقصد أبو بكر ، فمن المعلوم أن أبو بكر لم يطلب الأمر لنفسه ، بل قال : قد رضيت لكم ، أما عمر ، وأما عبد الرحمن وأما أبي عبيدة . وقال عمر : فوالله لئن أقدم فتغرب عنقي أحب إلى من أن أتأمر على قوم فيهم أبو بكر .

ولما اختاره عمر وأبو عبيدة وسائر المسلمين ، وبايده ، لعلهم بأنه خيرهم ، وقد قال النبي ﷺ : « يأبى الله والمؤمنون إلا أبو بكر » . ثم هب أنه طلبها وبايده ، فزعمك أنه طلبها وبايده للدنيا كذب ظاهر ، فإنه ما أعطاهم دنيا ، وقد كان أنفق في حياة الرسول ﷺ وقل ما بيده .

والذين بايدهو فازهد الناس في الدنيا ، ثم لم يكن عند موت النبي ﷺ

بيت مال يذله لهم ، ثم كانت سيرته رضي الله عنه ومذهبه التسوية في قسم الفيء .

وأي فائدة دنيوية حصلت لجمهور الأمة بجباية أبو بكر؟ لا سيما وهو يسوى بين كبار السابقين ، وبين آحاد المسلمين في العطاء ويقول : إنما أسلموا الله ، وأجورهم على الله ، وإنما هذا المناع بلاغ .

ابن مطهر : وسموه خليفة رسول الله ﷺ وما استخلفه في حياته ، ولا بعد وفاته ، ولم يسموا علياً خليفة رسول الله ﷺ مع أنه استخلفه على المدينة وقال له : « إن المدينة لا تصلح إلا بي أو بك » .

ابن تيمية : إن الخليفة معناه في اللغة الذي يختلف غيره كما هو معروف في اللغة أو أن يكون من استخلفه غيره كقول الشيعة وبعض الظاهريه . فعلى الأول أبو بكر رضي الله عنه خليفة رسول الله ﷺ خلفه بعد موته ، وقام مقامه وكان أحق بها وأهلها ، فكان هو الخليفة دون غيره ضرورة فإن الشيعة وغيرهم لا ينزعون في أنه هو صار ولي الأمر بعده ، وصار خليفة له يصلبي بال المسلمين ويقيم فيهم الحدود ، ويقسم عليهم الفيء ، ويغزو بهم ويولي عليهم العمال والأمراء ، فهذه باتفاق إنما باشرها بعد موته ﷺ ، أبو بكر رضي الله عنه ، فكان هو الخليفة للرسول ﷺ فيها قاطعاً ، وأما استخلافه ﷺ علياً رضي الله عنه على المدينة فليس خاصاً به ، فقد استخلف عليها ابن أم مكتوم وعثمان بن عفان ، وأبا لبابة بن عبد المنذر رضي الله عنهم ، وهذا ليس هو استخلافاً مطلقاً ، وهذا لم يقل في أحد من هؤلاء أنه خليفة رسول الله ﷺ إلا مع التقييد .

والنبي ﷺ إنما شبه علياً رضي الله عنه في أصل الاستخلاف لا في كماله وإنما فاستخلاف موسى هارون عليهما السلام كان علىبني إسرائيل إذ ذهب إلى المناجاة ، بخلاف النبي ﷺ ، وعلى رضي الله عنه أنه كان مع النبي ﷺ غالباً الناس . وأما قولك (إن المدينة لا تصلح إلا بي أو بك) فهذا كذب موضوع ، فقد كان علي معه في بدر وخبير وحنين وغير ذلك واستعمل غيره عليها .

ابن مطهر : إنهم يقولون : إن الإمام بعده أبو بكر ببايعة عمر برضى
أربعة .

ابن تيمية : بل ببايعة الكل ورضاهم على رغم أنفك . ولا يرد علينا
شذوذ سعد وحده ، فهذه بيعة علي رضي الله عنه امتنع عنها خلق من الصحابة
والتابعين من لا يخصيهم إلا الله تعالى ، أفذلك في إمامته؟ ومذهب أهل السنة
أن الإمامة تعقد عندهم بموافقة أهل الشوكة الذين يحصل لهم مقصود الإمامة
وهو القدرة والتمكين .

ابن مطهر : ولم يول النبي ﷺ أبا بكر عملاً قط ، ولما أنفقه بسورة براءة
رده بمحى من الله .

ابن تيمية : هذا من أبين الكذب ، فمن العلوم قطعاً أن النبي ﷺ
استعمل أبا بكر رضي الله عنه على الحج عام تسع فكان هذا من خصائصه كما
أن استخلافه على الصلاة من خصائصه وكان علي رضي الله عنه من رعيته في
الحج المذكور فإنه لحقه فقال أمير أو مأمور؟ . قال علي : بل مأمور . وكان علي
رضي الله عنه يصلي خلف أبي بكر رضي الله عنه مع سائر المسلمين في هذه
الحج ، بل خاصة بتبلیغ سورة براءة .

ابن مطهر : وقطع سارقاً ولم يعلم أن القطع لليد اليمنى .

ابن تيمية : من اظهر الكذب أن يجعل هذا أبو بكر رضي الله عنه ، ثم
لو قدر أن أبا بكر كان يحيى ذلك لكان سائغاً ، لأن القرآن ليس في ظاهره ما
يعين اليمين ، لكن تعين اليمين في قراءة ابن مسعود (فاقتعوا أيانها) وبذلك
مضت السنة .

ولكن أين النقل بذلك عن أبي بكر رضي الله عنه أنه قطع اليد اليسرى؟
وأين الإسناد الثابت بذلك؟ وهذه كتب أهل العلم بالأثار الموجودة فليس فيها
ذلك ، ولا نقل أهل العلم بالاختلاف ذلك قولها مع تعظيمهم لأبي بكر رضي
الله عنه .

ابن مطهر : خفي عليه أكثر أحكام الشريعة.

ابن تيمية : كيف يخفى عليه أكثر الأحكام ، ولم يكن من يقضى ويفتي بمحضه النبي ﷺ إلا هو ، ولم يكن النبي ﷺ أكثر مشاورة لأحد منه ولعمر رضي الله عنها .

[ابن مطهر : لم يعرف حكم الكلالة .]

ابن تيمية : هذا من أعظم علمه ، فإن الرأي الذي رأه عليه جاهير العلماء وأخذوا بقوله وهو أنه من لا ولد له ولا والد .

وأما الجد فإما قضاء عمر رضي الله عنه ، وأما أبو بكر رضي الله عنه فإنه لم يختلف قوله أن جعله أباً ، وهو قول بضعة عشر صحابياً ، ومذهب أبي حنيفة وبعض الشافعية والحنابلة هو الأظهر في الدليل ، وقال مالك والشافعي وأحمد يقول زيد بن ثابت ، وأما قول علي رضي الله عنه في الجد فلم يذهب إليه الأئمة ، فلما أجمع المسلمون على الجد الأعلى أولى من الأعمام كان الجد الأدنى أولى من الاخوة ، ثم القائلون بمشاركة الاخوة للجد لهم أقوال متناقضة .]

ابن مطهر : أهلل أبو بكر حدود الله ، فلم يقتصر من خالد بن الوليد حيث قتل مالك بن نويرة ، وأشار عمر بقتله فلم يقبل .

[ابن تيمية : إن كان ترك قاتل المعصوم مما ينكر على الأئمة كان هذا من أكبر حجج الشيعة لعثمان على علي رضي الله عنها ، فإن عثمان خيرٌ من أمثال مالك ابن نويرة ، وقد قتل مظلوماً شهيداً ، وعلى رضي الله عنه لم يقتصر من قتلته ، ولذا امتنع الشاميون من مبaitته ، فإن عذرتموه ، فاعذروا أبا بكر رضي الله عنه فإننا نعذرها .]

ابن مطهر : منع أبو بكر فاطمة ارثها والتوجه إلى روایة انفرد بها ، وكان هو الغريم لها ، لأن الصدقة تحمل له ، لأن النبي ﷺ قال : « نحن معاشر

الأنبياء لا نورث ، ما تركناه صدقة »^(١) على ما رواه عنه ، والقرآن يخالف ذلك لأنَّه تعالى قال : - « وورث سليمان داود »^(٢) وقال : « فهُبْ لِي مِنْ لَدْنِكَ وَلِيَرْثِنِي »^(٣).

ابن تيمية : قوله «رواية انفرد بها» كذب، بل رواه عن النبي ﷺ أبو بكر، عمر، عثمان، علي، طلحة، الزبير، عبد الرحمن بن عوف، العباس، أزواج النبي ﷺ، وأبو هريرة رضي الله عنهم . وقولك : « كان الغريم لها » كذب لأنَّ أبا بكر رضي الله عنه لم يدع التركة لنفسه، وإنما هي صدقة لستحقيها، وأيضاً فتیقн الصحابة وأولئم علي رضي الله عنه أنَّ النبي ﷺ لا يورث ولهذا لما ولي علي رضي الله عنه الخلافة لم يقسم تركة النبي ﷺ ولا غيرها عن مصروفها . ثم قوله تعالى : « وورث سليمان داود »^(٤) لا يدل إِذ الإرث إِسْم جنس تحته أنواع والدال على ما به الاشتراك لا يدل على ما به الامتياز، ولفظ الإرث يستعمل في لفظ إرث العلم والملك وغير ذلك . قال تعالى : « ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا »^(٤) وقال تعالى : « وَتَلَكَ الْجَنَّةُ الَّتِي

(١) يقول ابن قتيبة رحمه الله : « ومن الدليل أيضاً على أنَّ رسول الله ﷺ لا يورث ، أنه كان لا يرث بعد أن أوحي الله تعالى إليه ، وإنما كانت وراثته أبيه قبل الوحي » اهـ.

[راجع مناقشة ابن قتيبة لهذه القضية في كتابه القيم «تأويل مختلف الحديث» (ص ٣٠٠ : ٣٠٥). ط. دار الجليل] وفي هذه المناقشة يسأل ابن قتيبة :

كيف يسُوغ لأحد أن يظن بأبي بكر رضي الله عنه أنه منع فاطمة حقها من ميراث أبيها ، وهو يعطي الآخر والأسود حقوقهم؟! وما معناه في دفعها عنه ، وهو لم يأخذ لنفسه ، ولا لولده ، ولا لأحد من عشيرته؟!

(٢) النمل (١٦/٢٧) قال الصابوني : ورث سليمان أباه في النبوة والعلم (١٩/١٠٠٠) وقال الكلبي : - (ولو كانت وراثة مال لكان جميع أولاده فيه سواء) [راجع الجامع لأحكام القرآن (١٣/١٦٤)].

(٣) مريم (٦/١٩) [راجع تفسير هذه الآية في الفخر الرازي الكبير (٢١/١٨١) والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١١/٨٣) ط. دار الكتب.

(٤) فاطر (٣٥/٣٢) يقول الإمام الزمخشري رضي الله عنه في كشافه «الذين اصطفاهم الله هم أمة محمد من الصحابة والتابعين ومن بعدهم إلى يوم القيمة» اهـ. (٣/٤٨٤).

أورثموها ^(١) وقوله تعالى: «أورثكم أرضهم» ^(٢) وقوله تعالى: - «أورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون» ^(٣).

وأخرج أبو داود أن النبي ﷺ قال: «أن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً، وإنما ورثوا العلم» ثم يقال بل المراد ارث العلم والنبوة لا المال ، وإذا معلوم أنه كان لداود عليه السلام أولاد كثيرة غير سليمان عليه السلام ، فلا يختص سليمان عليه السلام به ، وليس في كونه ورث ماله صفة مدح لها ، [فإن البر والفاجر يرث أباه] والأية سبقت في مدح سليمان عليه السلام ، وما خص به ، وارث المال من الأمور العادلة المشتركة بين الناس ، [ومثل ذلك لا يقص علينا لعدم فائدته]

وكذلك قوله تعالى: «يرثني ويرث من آل يعقوب» ^(٤) لأنه لا يرث من آل يعقوب أموالهم ، إنما يرثهم أولادهم وذریتهم .

ثم فكر يا عليه السلام لم يكن ذا مال ، إنما كان نجاراً ، ويحيى عليه السلام كان من أزهد الناس.

ابن مطهر : ولما ذكرت أن أباها وهبها فدك ، وقال: هاتي شاهداً .
فجاءت بأم أيمن فقال: امرأة لا يقبل قوله ، فجاءت بعلي فشهد لها ، فقال هذا بعلك يجره إلى نفسه .

ابن تيمية : ما هذا بأول افتراء للرافضة ^(٥) ولا بهتم ، ثم إن فاطمة إن

(١) الزخرف (٤٣/٧٢) راجع تفسير الآية في المختصر لابن كثير (٣/٢٩٦) وتفسير الشيخ الصابوني (٢٥/٢٨٣).

(٢) الأحزاب (٣٣/٢٧).

(٣) الأعراف (٧/١٣٧).

(٤) مريم (٦/١٩) ومعنى الآية: يرث الشرع والعلم ، لأن الأنبياء لا يورثون أموالاً ولا عقاراً ، إنما هو العلم والتشريع .

راجع البيضاوي (٢/١٤) يترعرع في اللفظ والعبارة .

(٥) الرافضة: (راجع هذه الفرق في الفرق بين الفرق للبغدادي ص ٢٩ - ٧١ ومروج الذهب للمسعودي (٣/٢٢٠) بتصريح . وأرجو مراجعة كتاب الملل والنحل للشهرستاني والفصل لابن =

كانت طلبت فدك بالإرث بطلت الهمة ، وإن كانت هبة بطل الإرث .
ثم إذا كانت هذه هبة في مرض الموت ، فرسول الله ﷺ متزه - إن كان يورث كما يورث غيره - أن يوصي لوارث أو يخصه في مرض موته بأكثر من حقوقه وإن كان في صحته فلا بد أن تكون هذه هبة مقبوسة وإلا فإذا وهب الواهب بكلام ، ولم يقبض الموهوب إليه شيئاً حتى مات ، كان ذلك باطلأً عند جماعتي العلماء [فكيف يهب النبي ﷺ فدك لفاطمة ، ولا يكون ذلك أمراً مشهوراً عند أهل بيته وال المسلمين حتى تختص بعمرته أم أيمن أو علي رضي الله عنها ، بل ذلك كذب على فاطمة في ادعائها ذلك .

وإن كان النبي ﷺ يورث فالخصم أزواجه وعمه رضي الله عنهم ، ولا تقبل عليهم شهادة امرأة واحدة ولا رجل واحد بكتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ واتفاق المسلمين . وإن كان لا يورث فالخصم في ذلك المسلمون ، فكذلك لا تقبل عليهم شهادة امرأة واحدة ولا رجل واحد باتفاق المسلمين ، ولا رجل وامرأة ، (نعم يحكم في ذلك بشهادة ويمين الطالب عند فقهاء الحجاز ، وفقهاء أهل الحديث) .

[شهادة الزوج لزوجته فيها قولان مشهوران للعلماء هما روایتان عن أحمد رضي الله عنه احدهما لا تقبل وهي مذهب أبي حنيفة ومالك واللیث بن سعد والأوزاعي واسحاق وغيرهم رضي الله عنهم ، والثانية تقبل وهي مذهب الشافعی وأبی ثور وابن المنذر . فعل هذا لو قدر صحة القضية لما جاز للإمام أن يحکم بشهادة رجل واحد وامرأة بالاتفاق،] (لا سيما وأكثراهم لا يجيزون شهادة الزوج.)

ابن مطهر : وأمر أسامة على جيش فيه أبو بكر وعمر ولم يعزله ، ولم يسموه خليفة رسول الله ﷺ ، ولما تولى أبو بكر غضب أسامة وقال : إني أمرت عليك فمن استخلفك على؟ فمشى إليه هو وعمر حتى استرضياه .

حزم للوقوف على الفرق المختلفة التي تفرعت من الرافضة، ومصائب كل منها على دولة الإسلام
وال المسلمين . [٣]

ابن تيمية : لم يكن أبو بكر رضي الله عنه في جيش أسامة رضي الله عنه ، بل كان النبي ﷺ استخلفه في الصلاة من أول مرضه ، وأمراء الرايات كأسامة وغيره - لم يسموا خلفاء . لأنهم لا خلفوا الرسول ﷺ بعد موته ، ولا خلفوه في كل شيء في حياته .

وأما غضب أسامة رضي الله عنه فكذب بارد ، لأن أسامة كان أبعد شيء عن الفرقة والخلاف ، وقد اعتزل القتال مع علي ومعاوية رضي الله عنها ثم لم يكن قرشيًا ، ثم لو قدر أن النبي ﷺ أمره على أبي بكر رضي الله عنه ثم مات واستخلف أبو بكر ، فإلى الخليفة إنفاذ الجيش وحسبه ، وتأمير أسامة وعزله ، وهذا لا ينكره إلا جاهل .

والعجب من هؤلاء المفترين ومن قو لهم : إن أبي بكر وعمر رضي الله عنها مشيا إليه واسترضياه مع قو لهم إنها قهرا علياً والعباس وبني هاشم وبني عبد مناف ، ولم يسترضوهم ، وأي حاجة مبن قهروا أشراف قريش أن يسترضوا ضعيفاً ابن تسع عشرة سنة لا مال له ولا رجال .

فإن قالوا : استرضياه بحب رسول الله ﷺ إيه ولولته له قيل : فأنتم تدعون أنها بدلاً عهده ووصيته ﷺ .

ابن مطهر : وقال (أقيلوني فلست بخيركم وعلى فيكم) فإن كانت إمامته حقاً فاستقالته معصية ، وإن كانت باطلة لزم الطعن .

ابن تيمية : هذكذب ، ولا له إسناد . بل ثبت عنه أنه قال يوم السقيفة : بايعوا أحد هذين الرجلين ، أبو عبيدة أو عمر بن الخطاب رضي الله عنها ، فقال له عمر رضي الله عنه : بل أنت سيدنا وخيرنا وأحينا إلى رسول الله ﷺ ، ثم يقال : فهلا استخلفت علياً رضي الله عنه ، عند الموت ، وللإمام أن يقتال لطلب الراحة من أعباء الأمرة . وتواضع المرء لا يسقط من رتبته .

ابن مطهر : وقال عمر : كانت بيعة أبي بكر فلتة وقى الله شرها ، فمن عاد إلى مثلها فاقتلوه .

ابن تيمية : هذا القول الأخير افتراء وكذب ، وإنما قال : وليس فيكم من تقطع إليه الأعنق مثل أبي بكر رضي الله عنه .

ومعناه أن بيعة الصديق يورد إليها من غير انتظار وترث لكونه كان متعيناً .

ابن مطهر : وقال أبو بكر : ليتني سالت رسول الله ﷺ : هل للأنصار في هذا الأمر حق؟ .

ابن تيمية : هذا كذب . ثم نقول : هذا يقدح فيها تدعونه من النص على علي رضي الله عنه ، إذ لو كان نص عليه السلام على علي بطل حق الأنصار وغيرهم .

ابن مطهر : وقال النبي ﷺ في مرض موته مرات : (انقذوا جيش أسامة ، لعن الله المتخلف عن جيش أسامة) وكانت الثلاثة معه ومنع أبو بكر عمر من ذلك .

ابن تيمية : هذا كذب عند كل عارف السيرة ، فكيف يرسل أبو بكر في جيش أسامة وقد استخلفه على الصلاة ، فصلى بهم اثنى عشر يوماً بالنقل المواتر ، وقد كشف النبي ﷺ الستارة يوم الاثنين وقت الصبح وهو يصلون خلف أبي بكر رضي الله عنه ، ووجهه كأنه ورقة مصحف وسر بذلك لما رأهم بالصلاحة ، فكيف يتصور أن يأمره بالخروج وهو يأمره بالصلاحة بالناس؟ وإنما انفرد جيش أسامة بعد موت الرسول ﷺ أبو بكر رضي الله عنه ، غير أنه استأذنه في أن يأذن لعمربن الخطاب رضي الله عنه في الإقامة لأنه ذو رأي ناصح للإسلام ، فأذن له .

وأشار عليه بعضهم بترك الغزاة ، فإنهم خافوا أن يطعم الناس في الجيش بموت النبي ﷺ ، فامتنع أبو بكر رضي الله عنه وقال : لا أحل لواء عقده النبي ﷺ .

ابن مطهر : رواه عن أبي بكر أنه قال على المنبر (أن النبي ﷺ كان

يعتصم بالوحي ، وأن لي شيطاناً يعتريني ، فإن استقامت فأعينوني ، وإن زغت فقوموني)^(١).

فكيف تجوز إمامه من يستعين بالرعيه على تقويه؟

ابن تيمية : هذه من أكبر فضائله ، وأولها على أنه لم يكن طالباً رياسة ، ولا كان ظالماً ، فقال : إن استقامت على الطاعة فأعينوني عليها ، وإن زغت عنها فقوموني . كما قال : أطيعوني كما أطعت الله فيكم .

فالشيطان الذي يعتريه يعتري غيره ، فإنه ما من أحد إلا قد وكل به قرينه من الجن ، وقرئنه من الملائكة ، والشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم . فمقصوده بذلك أني لست معصوماً ، وصدق رضي الله عنه ، والإمام ليس ربأ لرعيته حتى يستغنى عنهم ، بل يتعاونون على البر والتقوى .

ثم يقال استعانت علي رضي الله عنه برعيته وحاجته إليهم كانت أكثر من استعانت أبي بكر رضي الله عنه .

[ابن مطهر : عطل عمر الحدود ، لم يحد المغيرة بن شعبة .]

ابن تيمية : إن جاهير العلماء على ما فعله عمر رضي الله عنه في قصة المغيرة ، وأن البنية إذا لم تكمل حد الشهود ، وفعل ذلك بحضور الصحابة - علي وغيره - فأفروه عليه ، بدليل أنه لما جلد الثلاثة أعاد أبو بكر القذف وقال : والله لقد زنا . ففهم عمر رضي الله عنه بجلده ثانية ، فقال له علي رضي الله عنه : إن كنت جالده فارجم المغيرة .

يعني يكون تكراره للقول بمنزلة شاهد آخر ، فيتم النصاب ويجب الرجم . وهذا دليل على رضا علي رضي الله عنه بحدهم لأنه ما أنكره .

ابن مطهر : كان يعطي أزواج النبي ﷺ من بيت المال أكثر مما ينبغي ،

(١) راجع - إن شئت - كتابنا (العشرة المبشرة بالجنة) للسيد الجميلي (ص ٢٣ - ٤٦) ط. دار الكتاب العربي .

ويعطي عائشة وحفصة في السنة عشرة ألف.

ابن تيمية : كان مذهبه التفضيل في العطاء، كما كان يعطي بني هاشم أكثر من غيرهم، ويبدأ بهم ويقول: ليس أحد أحق بهذا المال من أحد، إنما هو الرجل وغناوه، والرجل وبلاوه، والرجل سابقته، والرجل حاجته. وكان يعطي ابنه عبد الله رضي الله عنه أنفق ما يعطي أسامة بن زيد رضي الله عنهما ، فوالله ما كان عمر رضي الله عنه يتهم في تفضيله لمحاباة ولا صدقة.

ابن مطهر : وغير حكم الله في المنفيين.

ابن تيمية : النفي في الخمر تعزير يسوغ للإمام فعله باجتهاده، وقد ضرب الصحابة في الخمر أربعين، وضربوا ثمانين.

ابن مطهر : كان قليل المعرفة بالأحكام، أمر برجم حامل حتى نهاه علي.

ابن تيمية : إن كانت هذه القضية وقعت، فلعل عمر رضي الله عنه لم يعلم بحملها، والأصل عدم الحمل، أو غاب عنه الحكم حتى ذكره علي رضي الله عنه، فكان ماذا يمثل هذا يقبح في أئمة المهد؟ وعلي رضي الله عنه قد خفي عليه من السنة أضعاف هذا. وأدى اجتهاده إلى أن قتل يوم الجمل وصفين نحواً من تسعين ألفاً، فهذا أعظم مراراً من خطأ عمر رضي الله عنه في قتل ولد زنا، ولم يقتله والله الحمد.

ابن مطهر : جمع بين الفاضل والمفضول.

ابن تيمية : هذا عندك، وأما عندهم ف كانوا متقاربين. ولهذا كانوا في الشورى متربدين. فإن قلت: علي هو الفاضل وعثمان المفضول، قيل لك: كيف أجمع المهاجرين والأنصار على تقديم مفضول؟.

ابن مطهر : وأما عثمان فإنه ولی من لا يصلح، حتى ظهر من بعضهم الفسق والخيانة، وقسم الولايات بين أقاربه.

ابن تيمية : ان نواب علي رضي الله عنه قد خانوه وعصوه أكثر مما خان

عمال عثمان رضي الله عنه له وعصوه، وقد ولى علي رضي الله عنه زياد بن أبي سفيان، أبو عبد الله بن زياد قاتل الحسين رضي الله عنه ولد الأشتر، ولد محمد بن أبي بكر. ومعاوية رضي الله عنه خير من هؤلاء كلهم.

ومن العجب أن الشيعة ينكرون على عثمان رضي الله عنه ما يدعون أن علياً رضي الله عنه كان أبلغ فيه من عثمان، فيقولون إن عثمان ولد أقاربه من قبل أبيه وأمه كعبد الله وعبد الله ابني عم العباس، وقثم بن العباس، وثمامة ابن العباس، ولد على مصر رببه محمد بن أبي بكر الذي رباء في حجره، ولد أخته أم هانه.

[ثم إن الإمامية تدعي أن علياً نص على أولاده في الخلافة... ومن المعلوم أنه إن كان تولية الأقربين منكراً فتولية الخلافة العظمى أعظم من إمارة بعض الأعمال، وتولية الأولاد أقرب إلى الانكار من تولية بني العم.]

ابن مطهر : ضرب ابن مسعود حتى مات.

ابن تيمية : هذا من الكذب المعلوم.. وقيل إن عثمان رضي الله عنه ضرب عماراً وابن مسعود رضي الله عنها، فإن صح فهو إمام، له أن يعزره باجتهاده أصحاب أو أخطأ.

ابن مطهر : وطرد رسول الله ﷺ الحكم وابنه من المدينة فآواهما عثمان.

ابن تيمية : كان لمروان سبع سنين أو أقل، فما كان ذنب يطرد عليه. ثم لم نعرف أن أبا هاجر إلى المدينة حتى يطرد منها، فإن الطلق ليس فيهم من هاجر فإن النبي ﷺ قال: «لا هجرة بعد الفتح»، ولما قدم صفوان بن أمية مهاجراً أمره النبي ﷺ بالرجوع إلى مكة. وقصة طرد الحكم ليس لها إسناد نعرف بها صحتها، فإن كان قد طرده فإنما طرده من مكة لا من المدينة ، ولو طرده من المدينة لكن يرسله إلى مكة ، وطعن كثير من أهل العلم في نفيه وقالوا: هو ذهب باختياره. والطرد هو النفي ، والنفي قد جاءت به السنة في الزاني وفي المختفين ، وكانوا يعزرون بالنفي . وإذا كان النبي ﷺ قد عذر رجلاً

بالنفي لم يلزم أن يبقى منفياً طول الزمان ، فإن هذا لا يعرف في شيء من الذنوب ، ولم تأت الشريعة بذنب يتبقى صاحبه منفياً دائماً ، بل في غاية النفي المقدر سنة ، والزاني فيعزز بالنفي سنة ، ويعلم قطعاً أن عثمان رضي الله عنه ما أذن للحَكْم في اتِّيَانِ الْمَدِينَةِ مَعْصِيَةً لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، ولا مراغمة للإسلام .

ابن مطهر : ونفي أبا ذر إلى الربذة .

ابن تيمية : ثبت عن عبد الله بن الصامت قال : قالت أم ذر : والله ما سير عثمان أبا ذر إلى الربذة ولكن رسول الله ﷺ قال له : « إذا بلغ البناء سلعاً فاخرج منها » وقال الحسن البصري : معاذ الله أن يكون أخرجه عثمان رضي الله عنه .

ابن مطهر : زاد الأذان وهو بدعة .

ابن تيمية : علي رضي الله عنه من وافق على ذلك في خلافته ولم يزله . وابطال هذا كان أهون عليه من عزل معاوية رضي الله عنه وغيره وقتاهم . فإن قيل إن الناس لا يوافقونه على إزالة الأذان . قلنا فهذا دليل على أن الناس قد وافقوا عثمان رضي الله عنه على الاستجباب حتى مثل عمار رضي الله عنه وسهل بن حنيف والسابقين . وإن اختلفوا فهي من مسائل الاجتهاد . وإن قيل هي بدعة . قيل وقتال أهل القبلة بدعة لم تكن قبل .

وأنتم فقد زدتم في الأذان بدعة لم يأذن بها الرسول ﷺ وهي (حي على خير العمل) .

ابن مطهر : وقالوا غبت عن بدر ، وهربت يوم أحد ولم تشهد بيعة الرضوان .

ابن تيمية : هذا ما قاله إلا جهله الروافض من قاتله وقد أجابهم عثمان وأبن عمر رضي الله عنهم بأنه غاب يوم بدر بأمر الرسول ﷺ ليمرض ابنته . ويوم الحديبية فإن النبي ﷺ بعثه رسولاً إلى مكة ، فبلغه أنهم قتلوه ، فبائع أصحابه على الموت . وقال تعالى في الذين تولوا يوم أحد .

﴿ثُمَّ صَرَفْكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيكُمْ، وَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ، وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾^(۱).

ابن مطهر : إن عائشة كانت في كل وقت تأمر بقتل عثمان وتقول في كل وقت : أقتلوا نعشلاً ، قتل الله نعشلاً ، ولما بلغها قتله فرحت بذلك.

ابن تيمية : أين النقل الثابت عن عائشة رضي الله عنها بذلك؟ وأن المقال عن عائشة رضي الله عنها يكذب ذلك ، وبين أنها أنكرت قتله ودعت على أخيها محمد وغيره لمشاركتهم في ذلك.

ويقال : هب أن أحداً من الصحابة - عائشة أو غيرها - قال في ذلك كلمة على وجه الغضب لإنكاره بعض ما ينكر فليس قوله حجة ، ولا يقدح في إيمان القائل ولا المقال له ، بل قد يكون كلامها ولبياً لله تعالى من أهل الجنة ، ويظن أحدهما جواز قتل الآخر بل يظن كفره ، وهو خطأ في هذا الظن .

ابن مطهر : أي ذنب لعلي في قتله؟

ابن تيمية : تناقض منك . فإنك تزعم أن علياً رضي الله عنه من يستحل قتله وقاتلته ، ومن ألب عليه وقام بذلك ، فإن علياً قد نسبه إلى قتل عثمان رضي الله عنه كثير من شيعته وشيعة عثمان رضي الله عنه . وجاهير الإسلام يعلمون كذب الطائفتين على علي رضي الله عنه ، والرافضة تقول إن علياً رضي الله عنه كان من يستحل قتل عثمان رضي الله عنه ، بل وقتل أبي بكر وعمر رضي الله عنها ، وترى أن الإعانتة على قتله من الطاعات والقربات ، فكيف يقول من هذا اعتقاده أي ذنب كان لعلي في ذلك؟ وإنما يليق هذا التنزيه لعلي رضي الله عنه بأقوال أهل السنة ، لكن الرافضة من أعظم الناس تناقضاً.

ابن مطهر : أجمعوا على قتل عثمان.

ابن تيمية : هذا كذب فإن الجمهور لم يأمرروا بقتله ولا رضوه ، ولم يكن أكثر المسلمين بالمدينة بل كانوا بالأمسكار - من بلد المغرب إلى خراسان - ولم

(۱) آل عمران (۳/۱۵۲).

يدخل خيار المسلمين في ذلك، وإنما قتله طائفة من المفسدين في الأرض. وعن علي رضي الله عنه قال: (اللهم العن قتلة عثمان رضي الله عنه في البر والبحر والسهل والجبل).

ومن العلوم أن المسلمين أجمعوا على بيعة عثمان رضي الله عنه وما أجمعوا على قتله ، وما قولك أن عثمان رضي الله عنه قتل بالإجماع إلّا كما قال ناصبي قتل الحسين رضي الله عنه بإجماع المسلمين ، لأن الذين قاتلوه وقتلوا لم يدفعهم أحد عن ذلك ، فلم يكن كذبه بأظهر من كذب المدعى الإجماع على قتل عثمان رضي الله عنه ، فإن الحسين رضي الله عنه لم يعظم إنكار الأمة لقتله كما عظم إنكارهم لقتل عثمان رضي الله عنه ولا حصل بقتله من الفتنة والشر والفساد ما حصل بقتل عثمان رضي الله عنه .

ابن مطهر : الإمام يجب أن يكون أفضل من رعيته ، وعلى فاضل أهل زمانه فهو الإمام ، لقب تقدم المفضول على الفاضل عقلاً ونقلأً.

ابن تيمية : لا تسلم أنه أفضل أهل زمانه ، فإنه قال على منبر الكوفة : خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر ، ثم كثير من العلماء لا يوجبون تولية الأفضل ، فمنهم من يقول بولاية المفضول إذا كان فيها مصلحة راجحة كما تقول الزيدية .

ابن مطهر : روى أحمد بن حنبل^(١) أن أنساً قال لسلمان سل النبي ﷺ من وصيّه ؟ فسألـه فقال : (يا سلمـان من وصـي موسـى) قال يوشـع قال : (فإن وصـي ووارثـي عـلـي) .

ابن تيمية : هذا الحديث كذب موضوع باتفاق أهل المعرفة بالحديث ،

(١) الإمام أحمد بن حنبل ، أبو عبد الله الشيباني الواقلي ، إمام المذهب الحنفي ، وهو الملقب بإمام أهل السنة ، أحد الأئمة الأربعـة ، أصلـه من مرو ، وكان أبيـه والـي (سرخـس) ولد ببغـداد سنة ١٦٤ هـ ، وسافـر في سـبيل الـعلم إلـى أقطـار شـتـى ، وله مـسنـدـه الـذـي يـقـعـ في ستـة مجلـدـات يـحـتـوي عـلـى ثـلـاثـين ألف حـدـيـث ، وله تصـانـيفـ في النـاسـخـ والـمـسـوـخـ والتـارـيـخـ وغـيـرـه . وتـوـفـي رـحـمـه اللهـ سـنة ٢٤١ هـ .

وليس هو في مسند الإمام أحمد بن حنبل.

ابن مطهر : عن ابن أبي ليل قال: قال النبي ﷺ : الصديقون ثلاثة : حبيب التجار ، ومؤمن آل فرعون ، وعلى وهو أفضليهم .

ابن تيمية : هذا كذب ، وقد ثبت أن النبي ﷺ وصف أبو بكر رضي الله عنه بأنه صديق ، وصح من حديث ابن مسعود مرفوعاً (لا يزال الرجل يصدق ويتحري الصدق حتى يكتب عند الله صديقاً) فالصديقون بهذا كثير ، وقال تعالى في مريم وهي امرأة : «وَمَهِ صَدِيقَةٍ» .

ابن مطهر : قال النبي ﷺ : «سدوا الأبواب إلّا باب علي» .

ابن تيمية : هذا من وضع الشيعة . فإن في الصحيحين من حديث أبي سعيد الحذري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال في مرضه الذي مات فيه : «إن أمن الناس على في ماله وصحبه أبو بكر ، ولو كنت متخدنا خليلاً ، لاتخذت أبي بكر خليلاً ، ولكن أخوة الإسلام وموته . لا يبقين في المسجد خوضه إلّا سدت إلّا خوضه أبي بكر» ورواه ابن عباس رضي الله عنها في الصحيحين^(١) .

ابن مطهر : قال تعالى : «اليوم أكملت لكم دينكم» روى أبو نعيم بإسناده إلى أبي سعيد أن النبي ﷺ دعا الناس إلى غدير خم وأمرنا بحث الشجر من الشوك ، فقام فأخذ بصنبغي على فرفعها حتى نظر الناس إلى باطن إبطي رسول الله ﷺ ثم لم يتفرقوا حتى نزلت : «اليوم أكملت لكم دينكم» فقال الرسول ﷺ (الله أكبر على إكمال الدين ، ورضي الرب برسلتي وبالولاية لعلي من بعدي) ثم قال : «من كنت مولاه فعلي مولاه ، اللهم وال من والاه ، وانصر من نصره ، وانخذل من خذله» .

ابن تيمية : هذا من الكذب باتفاق أهل المعرفة بالموضوعات . وقد ثبت

(١) راجع الطبقات الكبرى لابن سعد (٢٢٧/٢، ٢٢٨) ط. دار صار بيروت . تحقيق إحسان عباس .

وكذا السيرة النبوية لابن هشام بتحقيق طه عبد الرؤوف سعد (٤/٢١٨، ٢١٩) .

أن الآية نزلت على رسول الله ﷺ ، وهو واقف بعرفة قبل يوم العدیر بسبعة أيام.

ثم ليس فيها دلالة على علي رضي الله عنه بوجه ولا على إمامته . فدعواك أن البراهين دلت عليه من القرآن من الكذب الواضح ، وإنما يكون ذلك من الحديث لو صح.

ابن مطهر : قال تعالى : ﴿ والنجم إذا هوى ، ما ضل صاحبكم وما غوى ﴾ روى الفقيه علي بن المغازلي الشافعي ياسناده عن ابن عباس قال : كنت جالساً مع فتاة من بنى هاشم عند النبي ﷺ إذ انقض كوكب من السماء فقال : (من انقض الكوكب في منزله فهو الوصي من بعدي) فإذا هو قد انقض في منزل علي ، قالوا يا رسول الله قد غويت في حب علي ، فأنزل الله تعالى : - ﴿ والنجم إذا هوى ﴾ .

ابن تيمية : هذا من أبين الكذب ، والقول على الله بلا علم حرام ، قال الله تعالى : ﴿ ولا تقف ما ليس لك به علم ﴾ فكل من احتج بحديث عليه أن يعلم صحته قبل أن يستدل به ، وإذا احتج به على غيره ، فعليه بيان صحته ، وإذا عرف أن في الكتب الكذب صار الاعتماد على مجرد ما فيها مثل الاستدلال بشهادة الفاسق الذي يصدق ويذبّح . ثم لو كان هذا جرى لكان يغنى عن الوصية يوم عدیر خم .

ابن مطهر : روى أحمد بن حنبل عن ابن عباس قال : ليس في القرآن ﴿ يأيها الذين آمنوا ﴾ إلّا وعلى رأسها وأميرها .

ابن تيمية : الجواب المطالب بصححة النقل ، فإنك زعمت أن أحمد بن حنبل رواه ، وإنما ذامن زيادات القطبي ، رواه عن ابراهيم بن شريك عن زكريا بن يحيى الكسائي ، حدثنا عيسى عن علي بن بذمة عن عكرمة عن ابن عباس ، فهذا كذب على ابن عباس ، فإن زكريا ليس بثقة ، والمتواترة عن ابن عباس تفضيله الشيختين على علي ، وله معاقبات ومخالفات لعلي ، ثم هذا الكلام

ما فيه مدح لعلي، فقد قال الله تعالى: - ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَمْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾.

فإن كان على رأس هذه الآية فقد عاتبه الله تعالى، وهو مخالف لما في حديثك من أن الله تعالى ما ذكره إلا بخير.

ابن مطهر : قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلَغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ اتفقوا على نزولها في علي. روى أبو نعيم بإسناده إلى عطية أنها نزلت في علي. وفي تفسير الشعبي. ﴿أَبْلَغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ في فضل علي.

فلما نزلت أخذ بيده علي فقال: (من كنت مولاه فعل مولاه) والنبي مولى أبي بكر ، وعمر ، والصحابة بالإجماع ، فيكون علي مولاهم ، فيكون هو الإمام .

ابن تيمية : هذا أعظم كذباً وفريدة من الأول.

وقولك (اتفقوا على نزولها في علي) كذب ، بل ولا قاله عالم ، وفي كتاب أبي نعيم والشعبي والنقاش من الكذب ما لا يعد.

ثم نقول لكم : ما يرويه مثل النقاش والشعبي وأبي نعيم ونحوهم أتقبلونه مطلقاً لكم وعليكم ، أم تردونه مطلقاً ، أو تأخذون بما وافق أهواءكم وتردون ما خالفاً؟ .

فإن قبلوه مطلقاً ففي ذلك من فضائل الشيفين جملة من الصحيح والضعف ، وإن ردوه مطلقاً بطل اعتماده بما ينقل عنهم ، وإن قبلوا ما يوافق مذهبهم أمكن المخالف رد ما قبلوه والاحتجاج بما ردوه . والناس قد كذبوا في المناقب والمثالب أكثر من كل شيء .

ابن مطهر : لو اجتمع الناس على حب علي لم تخلق النار.

ابن تيمية : لقد رأينا من حبيه من الاسماعيلية وغيرهم خلقاً من طعام النار ، ونحن نحبه ونخاف النار .

ثم خلق من صدق الرسل يدخلون الجنة وما عرفوا علياً رضي الله عنه .
ابن مطهر :- قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا وَلِيْكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا ، الَّذِينَ يَقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيَؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴾^(١) وقد أجمعوا أنها نزلت في علي .

ابن تيمية : إن قولك (أجمعوا أنها نزلت في علي) من أعظم الدعاوى الكاذبة ، بل أجمعوا على أنها لم تنزل في علي رضي الله عنه بخصوصه ، ثم تعفيك من ادعائك الإجماع ونطalker بسند واحد صحيح . ولو كان المراد بالأية أن يؤتى الزكاة في حالة الركوع لوجب أن يكون ذلك شرطاً في الملاة ، ولا يتولى المسلم إلّا علياً فقط ، فلا يتولى الحسن ولا الحسين رضي الله عنهم ، ثم قوله ﴿ الَّذِينَ يَقِيمُونَ ﴾ صيغة جمع فلا تصدق على واحد فرد ، وأيضاً فلا يشنى على المرء إلّا محمود ، وفعل ذلك في الصلاة ليس مستحب ، ولو كان مستحباً لفعله الرسول ﷺ ولحسن عليه ولكرر علي رضي الله عنه فعله .

وإن في الصلاة لشغالاً فكيف يقال لأولى لكم إلّا الذين يتصدقون في حال الركوع؟ .

ثم قوله : ﴿ وَيَؤْتُونَ الزَّكَاةَ ﴾ يدل على وجوب الزكاة ، وعلى رضي الله عنه ما وجبت عليه زكاة قط في زمن النبي ﷺ فإنه كان فقيراً ، وزكاة الفضة إما تجب على من ملك النصاب حولاً وعلى رضي الله عنه لم يكن من هؤلاء . ثم اعطاء الخاتم في الزكاة لا يجزي عند الأكثر ، ثم الآية بمنزلة قوله تعالى : ﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَاكِعِينَ ﴾^(٢) وكقوله تعالى : - ﴿ اقْتُنِي لِرَبِّكَ وَاسْجُدْي وَارْكَعْي مَعَ الرَاكِعِينَ ﴾^(٣) .

ابن مطهر : الفقهاء كلهم يرجعون إليه .

ابن تيمية : هذا كذب ، فليس في الأئمة الأربعة ولا غيرهم من يرجع إليه في الفقه .

(١) المائدة (٥٥/٥) أرجو مراجعة تفسير الشيخ الصابوني للأية الكريمة (٣٣٦/٦).

(٢) البقرة (٤٣/٢).

(٣) آل عمران (٤٣/٣).

أما مالك فعلمه عن أهل المدينة، وأهل المدينة لا يكادون يأخذون بقول
علي بل مادتهم من عمر وزيد وابن عمر وغيرهم رضي الله عنهم.

وأما الشافعي فإنه يتفقه أولاً على المكيين أصحاب ابن جرير، وابن
جرير أخذ عن أصحاب ابن عباس رضي الله عنها ، ثم قدم الشافعي المدينة
وأخذ عن مالك، ثم كتب أهل العراق واختار لنفسه، وأما أبو حنيفة فشيخه
الذى اختص به حماد بن أبي سليمان ، صاحب إبراهيم التخفي وإبراهيم
صاحب علقة ، وعلقة صاحب ابن مسعود رضي الله عنه . وأخذ أبو حنيفة
عن عطاء بمكة ومن غيره .

وأما أحمد بن حنبل فكان على مذهب أئمة الحديث.

ابن مطهر : إن المالكية أخذوا علمهم عن علي وأولاده .

ابن تيمية : كذب ، هذا الموطأ ليس فيه عن علي وأولاده إلّا البسير،
وكذلك الكتب والسنن والمسانيد جمهور ما فيها عن غير أهل البيت

ابن مطهر : إن أبي حنيفة قرأ على الصادق.

ابن تيمية : كذب فإنه من أقرانه، مات جعفر قبله بستين ، ولكن ولد
أبو حنيفة مع جعفر بن محمد في عام . ولا نعرف أنه أخذ عن جعفر ولا عن أبيه
مسألة واحدة . بل أخذ عنمن أسن منها كعطاء بن أبي رباح وشيخه الأصلي
حماد بن أبي سليمان ، وجعفر بن محمد كان بالمدينة.

ابن مطهر : إن الشافعي أخذ عن محمد بن الحسن.

ابن تيمية : ما جاءه الشافعي إلّا وقد صار إماماً، فجالسه وعرف طريقته
وناظره وألق في الرد عليه، وفي الجملة فهو لاء لم يأخذوا عن جعفر مسائل ولا
أصولاً، ولكن رووا عنه أحاديث يسيرة رووا عن غيره أضعافها.

ابن مطهر : وعن مالك أنه قرأ على ربيعة، وربيعة على عكرمة وعكرمة
على ابن عباس، وابن عباس تلميذ علي .

ابن تيمية : هذه كذبه ، ما أخذ ربيعة عن عكرمة شيئاً ، بل عن سعيد بن المسيب ، وسعيد كان يرجع في علمه إلى عمر وزيد وأبي هريرة رضي الله عنهم . وقولك (على تلميذه ابن عباس) باطل ، فإن رواية علي يسيرة ، غالب أخذه عن عمر وزيد رضي الله عنها ، وكان يفتى في أشياء بقول أبي بكر وعمر رضي الله عنها ، وينازع علياً في مسائل .

ابن مطهر : لقد عاتب الله تعالى أصحاب محمد ﷺ في القرآن ، وما ذكر علياً إلّا بخير ، وهذا يدل أنه أفضل ، فيكون هو الإمام .

ابن تيمية : كذب ظاهر ، فما عاتب أبو بكر رضي الله عنه ، في القرآن فقط . وعن النبي ﷺ أنه قال في خطبته : (أيها الناس ، اعرفوا لأبي بكر حقه ، فإنه لم يسؤالني يوماً فقط) .

وهذا بخلاف خطبة بنت أبي جهل ، فقد خطب النبي ﷺ الخطبة المعروفة ، وما حصل هذا في حق أبي بكر رضي الله عنه فقط .

ابن مطهر : قال تعالى : « مرج البحرين يلتقيان » من تفسير الثعلبي وطريق أبي نعيم عن ابن عباس قال علي وفاطمة ، بينها بزخ النبي ﷺ ، « يخرج منها اللؤلؤ والمرجان » الحسن والحسين ، ولم تحصل لغيره من الصحابة هذه الفضيلة فيكون أولى بالإماماة .

ابن تيمية : إن هذا هذيان ، ما هو تفسير القرآن بل هو من وضع الملاحدة . ونحن نجد ضرورة لا تندفع أن ابن عباس رضي الله عنها ما قال هذا .

ثم سورة الرحمن مكية بإجماع المسلمين ، وإنما اتصل علي بفاطمة رضي الله عنها بالمدينة .

ثم تسمية هذين بحررين وهذا اللؤلؤ وهذا مرجان وجعل النكاح مرجأً أمر لا تختمله لغة العرب بوجه ، ثم نعلم أن آل إبراهيم عليه السلام - كإسماعيل وإسحاق عليهما السلام - أفضل من آل علي ، فلا توجب الآية

تحصيضاً ولا أفضلية ، لو تنازلنا وخطبنا من لا يعقل ما يخرج من رأسه . ثم إن الله تعالى قد ذكر « مرج البحرين » في آية أخرى « هذا عذب فرات وهذا ملح أجاج وجعل بينها بربخاً » .

فأيتها الملح الأجاج عندك أعلى أم فاطمة؟ ثم قوله « لا يغىان » يقتضي أن البرزخ هو المانع من بغي أحدهما على الآخر، وهذا بالذم أشبه منه باللذح.

ابن مطهر : وسموها أم المؤمنين ، ولم يسموا غيرها بذلك.

ابن تيمية : هذا بهتان واضح لكل أحد ، وجهل منك بل ما زالت الأمة قدّيماً وحديثاً يسمون أزواج النبي ﷺ ، أمّهات المؤمنين اتباعاً لنص تسميتهم بالقرآن سوى الرافضة .

ابن مطهر : كيف استجاز طلحة والزبير وغيرهما مطاوعتها على ذلك ، وبأي وجه يلقون رسول الله ﷺ ، مع أن الواحد منها مع امرأة غيره ، أو أخرجها من منزلها أو سافر بها ، كان أشد الناس عداوة له .

ابن تيمية : هذا من تناقض الرافضة وجهلهم ، فإنهم يعظمون عائشة رضي الله عنها في هذا المقام طعناً في طلحة والزبير رضي الله عنها ، ولا يعلمون أن هذا إن كان متوجهاً فالطعن في علي رضي الله عنه بذلك أوجه ، فإن طلحة والزبير رضي الله عنها كانوا معظمين عائشة رضي الله عنها ، موافقين لها ، مؤثثرين بأمرها ، وهو وهي من أبعد الناس عن الفواحش والمعاونة عليها ، فإن جاز للرافض أن يقدح فيها بقوله (بأي وجه يلقون رسول الله ﷺ) مع أن الواحد منها لو تحدث مع امرأة غيره حتى أخرجها من منزلها وسافر بها ... الخ . كان للناسبي أن يقول : بأي وجه يلقى رسول الله ﷺ من قاتل امرأته وسلط عليها أعوانه حتى عقروا بعيدها وسقطت من هودجها وأعداؤها حاصولها كالمسيبة التي أحاط بها من يقصد سباءها .

ومعلوم أن هذا في مظنة الاتهام لأهل الرجل ، وذلك أعظم من إخراجها من منزلها ، وهي بمنزلة الملكة المجلة المعظمة التي لا يأتي إليها أحد إلا بإذنها .

ولم يكن طلحة والزبير رضي الله عنها ولا غيرهما من الأجانب يحملونها، بل كان في المعسكر من محارمها مثل عبد الله بن الزبير ابن أختها ، وخلوتها بها ومسه لها جائز بالكتاب والسنّة والإجماع، وكذلك سفر المرأة مع ذي محرمها جائز بالكتاب والسنّة والإجماع، وهي لم تسرف إلّا مع ذي محرمها وأما العسّر الذين قاتلواها فلولا أنه كان في المعسكر محمد بن أبي بكر مد يده إليها، ملد يده إليها الأجانب.

ولهذا دعت عائشة رضي الله عنها على من مد يده إليها وقالت: يد من هذه أحرقها الله بالنار؟ فقال: أي أخت، في الدنيا قبل الآخرة. فقالت: في الدنيا قبل الآخرة. فأحرق بالنار بمصر.

ابن مطهر : إن النبي ﷺ لعن معاوية الطليق بن الطليق وقال: (إذارأيتموه على منبري فاقتلوه) وسموه (كاتب الوحي) ولم يكتب له كلمة من الوحي بل كان يكتب له رسائل.

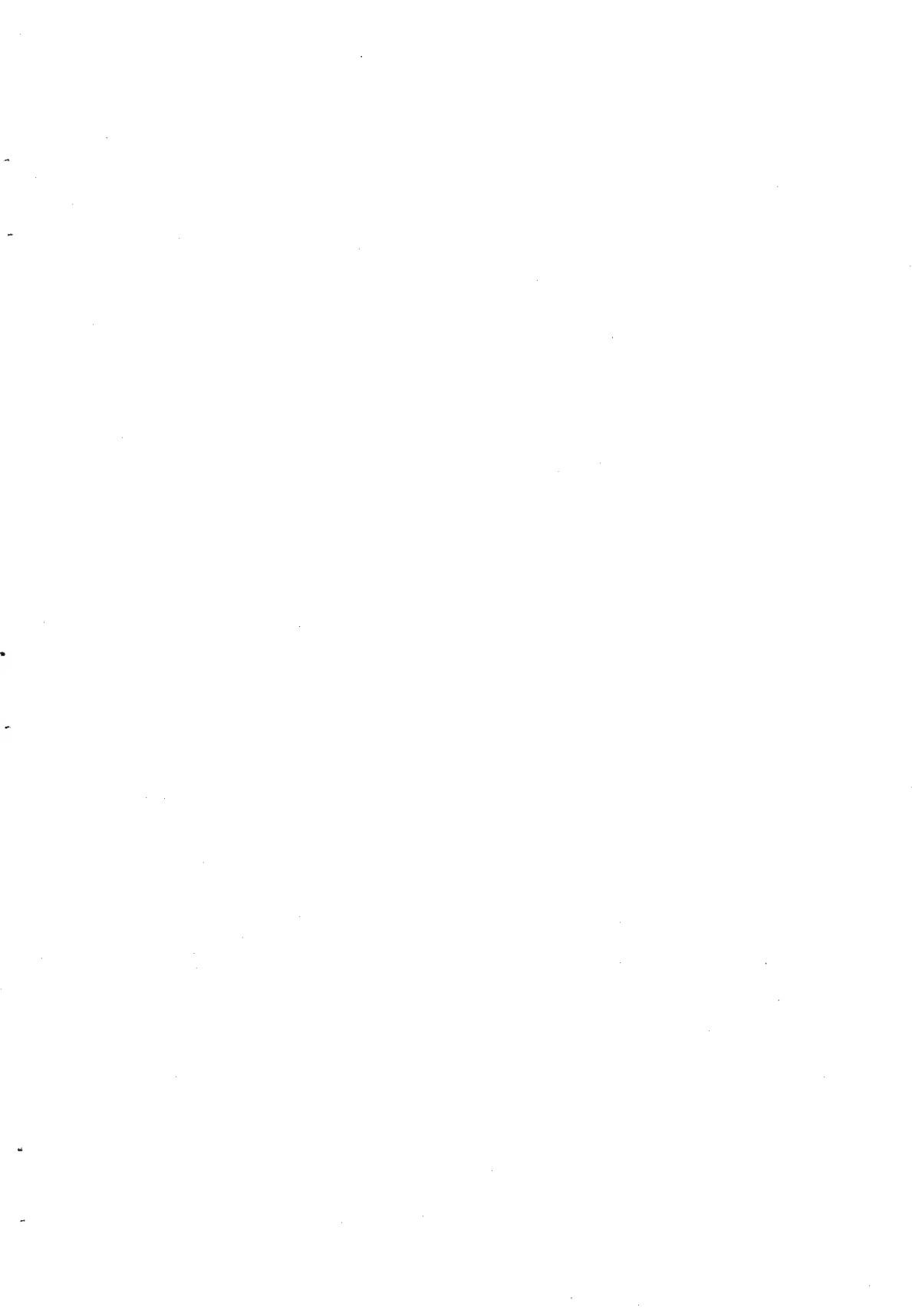
ابن تيمية : - هذا الحديث ليس في شيء من كتب الإسلام، وهو عند الحفاظ كذب، وذكره ابن الجوزي في الموضوعات، ثم قد صعد المنبر من هو شر من معاوية رضي الله عنه وما أمر بقتله.

وأما قولك (الطليق بن الطليق) فيما هذا بصفة ذم، فإن الطلقاء غالبيهم حسن إسلامهم كالحارث بن هشام ، وابن أخيه عكرمة، وسهيل بن عمرو ، وصفوان بن أمية ، ويزيد بن أبي سفيان ، وحكيم بن حزام وأمثالهم ، وكانوا من خيار المسلمين ، ومعاوية رضي الله عنه من حسن إسلامه، وولاه عمر رضي الله عنه بعد أخيه يزيد، ولم يكن عمر رضي الله عنه من يحابي، ولا تأخذه في الله لومة لائم .

ابن مطهر : وسم معاوية الحسن.

ابن تيمية : لم يثبت. يقال إن امرأته سمته، وكان مطلقاً رضي الله عنه فلعلها سمته لغرض، والله أعلم بحقيقة الحال، وقد قيل إن أباها الأشعث بن قيس أمرها بذلك، فإنه كان يتهم بالانحراف في الباطن عن علي وابنه الحسن رضي الله عنها .

وإذا قيل إن معاوية رضي الله عنه أمر أباها كان ظناً محضاً والنبي ﷺ قال : (إياكم والظن ، فإن الظن أكذب الحديث) وبالجملة فمثل هذا لا يحکم به في الشرع باتفاق المسلمين ، فلا يتربّط عليه أمر ظاهر ، لا قدح ولا ذم ، ثم إن الأشعث بن قيس مات سنة أربعين ، وهذا لم يذكر في الصلح الذي كان بين معاوية والحسن بن علي رضي الله عنهم في العام الذي كان يسمى عام الجماعة وهو عام أحد وأربعين ، وكان الأشعث حما الحسن ابن علي رضي الله عنها ، فلو كان شاهداً لكان يكون له ذكر في ذلك ، وإذا كان قد مات قبل الحسن بنحو عشر سنين فكيف يكون هو الذي أمر ابنته؟ .



مناظرة الواسطية^(١)

يقول الإمام العلامة شيخ الإسلام ابن تيمية رضي الله عنه : الحمد لله رب العالمين ، الرحمن الرحيم ، مالك يوم الدين . وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، الذي أرسله إلى الخلق أجمعين صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً ، وعلى سائر عباد الله الصالحين ، أما بعد : فقد سئلت غير مرة ، أن أكتب ما حضرني ذكره ، مما جرى في المجالس الثلاثة المعقودة للمساورة ، في أمر الاعتقاد بمقتضى ما ورد به كتاب السلطان ، من الديار المصرية إلى نائبه أمير البلاد ، لما سعى إليه قوم من الجهمية^(٢) ، والإتحادية^(٣) ، والرافضة^(٤) ، وغيرهم من ذوي الأحقاد . فأمر الأمير بجمع القضاة الأربعه ؛ قضاة المذاهب الأربعه ؛ وغيرهم من نوابهم ؛ والمفتين والمشائخ ؛ من هم حرمة وبهم اعتداد . وهم لا يدرؤن ما قصد بجمعهم في هذا الميعاد ، وذلك يوم الاثنين ثامن رجب المبارك ، عام خمس وسبعينه^(٥) .

فقال لي : هذا المجلس عقد لك ، فقد ورد مرسوم السلطان بأن أسألك

(١) مجموع الفتاوى (٣/١٦٠ - ١٩٣).

(٢) هم أصحاب جهم بن صفوان ، وهو من الجبرية الحالصة ومن ثقاة الصفة .

(٣) هم من فرق الفلسفه الذين اتبعت عليهم بعض العقائد والديانات .

(٤) هم من رفضوا خلافة الشیخین .

(٥) راجع البداية والنهاية لابن كثير (٤/٣٦) ط. دار الفكر العربي.

عن اعتقادك ، وعما كتبت به إلى الديار المصرية من الكتب التي تدعوا بها الناس إلى الاعتقاد ، وأظنه قال : وان أجمع القضاة ، والفقهاء ، وتباحثون في ذلك .

فقلت : أما الاعتقاد فلا يؤخذ عنني ، ولا عنمن هو أكبر مني ؛ بل يؤخذ عن الله ، ورسوله ﷺ ، وما أجمع عليه سلف الأمة ، فما كان في القرآن وجوب اعتقاده ، وكذلك ما ثبت في الأحاديث الصحيحة ، مثل صحيح البخاري ومسلم .

وأما الكتب ، فما كتبت لأحد كتاباً ابتدأه أدعوه به إلى شيء من ذلك ، ولكي كتبت أجوبة أجبت بها من يسألني : من أهل الديار المصرية وغيرهم ، وكان قد بلغني أن زور عليٌ كتاب إلى الأمير ركن الدين الجاشنكير ، أستاذ دار السلطان ، يتضمن ذكر عقيدة محرفة ، ولم أعلم بحقيقةه ؛ لكن علمت أنه مكذوب .

وكان يرد عليٌ من مصر وغيرها من يسألني عن مسائل في الاعتقاد وغيره فأجيئه بالكتاب والسنّة ، وما كان عليه سلف الأمة . فقال : نريد أن تكتب لنا عقيدتك ، فقلت : اكتبوا . فأمر الشيخ كمال الدين أن يكتب ؛ فكتب له جمل الاعتقاد في أبواب الصفات والقدر ، ومسائل الإيمان والوعيد ، والإمامية والتفضيل .

وهو أن اعتقاد أهل السنة والجماعة : الإيمان بما وصف الله به نفسه ، وبما وصف الله به نفسه ، وبما وصف به رسوله ﷺ ، من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكليف ولا تأثيل ، وأن القرآن كلام الله غير المخلوق ، منه بدأ وإليه يعود .

والإيمان بأن الله خالق كل شيء من أفعال العباد وغيرها ، وأنه ما شاء الله كان وما لم يشاً لم يكن ، وأنه أمر بالطاعة ، وأحبها ورضيها ؛ ونهى عن المعصية وكرهها . والعبد فاعل حقيقة ، والله خالق فعله ، وأن الإيمان والدين قول وعمل ، يزيد وينقص ، وأن لا تكفر أحداً من أهل القبلة بالذنوب ، ولا تخلد في النار من أهل الإيمان أحداً ، وأن الخلفاء بعد رسول الله ﷺ أبو بكر ، ثم عمر ، ثم عثمان ، ثم علي ، وأن مرتبتهم في الفضل كترتيبهم في الخلافة ، ومن قدم علياً

على عثمان ، فقد أزرى بالهاجرين والأنصار وذكرت هذا أو نحوه ، فإنني الآن قد بعد عهدي ، ولم أحفظ لفظ ما أمليته ، لكنه كتب إذ ذاك .
ثم يقول ابن تيمية رحمه الله :

ثم قلت للأمير والحاضرين : أنا أعلم أن أقواماً يكذبون عليَّ ، كما قد كذبوا على غير مرة . وإن أمليت الاعتقاد من حفظي ؛ ربما يقولون كتم بعضه ، أو داهن أو داري ، فأنا أحضر عقيدة مكتوبة ؛ من نحو سبع سنين قبل مجيء التتر إلى الشام .

وقلت قبل حضورها كلاماً قد بعد عهدي به ، وغضبت غضباً شديداً ، لكنني أذكر أنني قلت : أنا أعلم أن أقواماً كذبوا عليَّ وقالوا للسلطان أشياء ، وتكلمت بكلام احتجبت إليه ؛ مثل أن قلت : من قام بالإسلام أوقات الحاجة غيري ؟ ومن الذي أوضح دلائله وبينه ؟ وجاهد أعداءه وأقامه لما مال ؟ حين تحلى عنه كل أحد ؛ ولا أحد ينطق بحجته ولا أحد يجاهد عنه وقامت مظهراً لحجته مجاهداً عنه مرغباً فيه ؟ .

إذا كان هؤلاء يطمعون في الكلام فيَّ فكيف يصنعون بغيري ؟ ! ولو أن يهودياً طلب من السلطان الانصاف لوجب عليه أن ينصفه ؛ وأنا قد أعنوا عن حقي وقد لا أعفو؛ بل قد أطلب الانصاف منه ، وأن يحضر هؤلاء الذين يكذبون ؛ ليوافقوا على افترائهم ، وقلت كلاماً أطول من هذا الجنس ؛ لكن بعد عهدي به ، فأشار الأمير إلى كاتب الدرج محبي الدين بأن يكتب ذلك .

ثم يستطرد ابن تيمية في ثقة وعلم وفضيلة :

كل من خالفنى في شيء مما كتبته فأنا أعلم بمذهبه منه ، وما أدرى هل قلت هذا قبل حضورها أو بعده ؛ لكنني قلت أيضاً بعد حضورها وقراءتها ، ما ذكرت فيها فصلاً إلا وفيه مخالف من المتسلين إلى القبلة ، وكل جملة فيها خلاف لطائفة من الطوائف ، ثم أرسلت من أحضرها ، ومعها كراسيس بخطي من المنزل ، فحضرت « العقيدة الواسطية » .

وقلت لهم : هذه كان سبب كتابتها أنه قدم عليَّ من أرض واسط بعض

قضاء نواحيها - شيخ يقال له «رضي الدين الواسطي» من أصحاب الشافعى - قدم علينا حاجاً، وكان من أهل الخير والدين ، وشكراً ما الناس فيه بتلك البلاد، وفي دولة التتر من غلبة الجهل والظلم ، ودروس الدين والعلم ، وسألني أن أكتب له عقيدة تكون عمدة له ولأهل بيته ، فاستعففت من ذلك ، وقلت قد كتب الناس عقائد متعددة ، فخذ بعض عقائد أئمة السنة . فألح في السؤال وقال: ما أحب إلّا عقيدة تكتبها أنت، فكتبت له هذه العقيدة، وأنا قاعد بعد العصر، وقد انتشرت بها نسخ كثيرة في مصر والعراق وغيرهما.

فأشار الأمير بأن لا أقرأها أنا لرفع الريبة، وأعطتها لكاتبه الشيخ كمال الدين، فقرأها على الحاضرين حرفاً حرفاً، والجماعة الحاضرون يسمعونها، ويورد المورد منهم ما شاء، ويعارض فيها شاء، والأمير أيضاً يسأل عن موضع فيها، وقد علم الناس ما كان في نفوس طائفة من الحاضرين، من الخلاف والهوى، ما قد علم الناس بعضه، وبعضه بسبب الاعتقاد، وبعضه بغير ذلك.

ولا يمكن ذكر ما جرى من الكلام ، والمناظرات في هذه المجالس ، فإنه كثير لا ينضبط؛ لكن أكتب ملخص ما حضرني من ذلك ، مع بعد العهد بذلك، ومع أنه كان يجري رفع أصوات ولغط لا ينضبط.

فكان مما اعرضت على بعضهم - لما ذكر في أوصافه ومن الإيمان بالله: الإيمان بما وصف به نفسه، ووصفه به رسوله، من غير تحريف ولا تعطيل ، ولا تكليف ولا تمثيل ، فقال: - ما المراد بالتحريف والتعطيل؟ ومقصوده أن هذا ينفي التأويل، الذي أثبته أهل التأويل، الذي هو صرف اللفظ عن ظاهره ، إما وجوباً وإما جوازاً .

فقلت: تحريف الكلم عن مواضعه كما ذمه الله تعالى في كتابه، وهو إزالة اللفظ عما دل عليه من المعنى، مثل تأويل بعض الجهمية لقوله تعالى: ﴿وَكُلُّمَّا اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيْمًا﴾ أي جرمه بأظافير الحكمة تحريراً، ومثل تأويلات القرامطة؛ والباطنية وغيرهم وغيرهم من الجهمية والرافضة والقدرية وغيرهم ، فسكت وفي نفسه ما فيها .

وذكرت في غير هذا المجلس: أفي عدلت عن لفظ التأويل إلى لفظ التحريف؛ لأن التحريف اسم جاء القرآن بذمه، وأنا تحررت في هذه العقيدة اتباع الكتاب والسنّة ، فنفيت ما ذمه الله من التحريف ولم أذكر فيها لفظ التأويل بنفي ولا إثبات ، لأنه لفظ له عدة معان ، كما بيته في موضعه من القواعد، فإن معنى لفظ التأويل في كتاب الله، غير معنى لفظ التأويل في اصطلاح المتأخرین، من أهل الأصول والفقه، وغير معنى لفظ التأويل في اصطلاح كثير من أهل التفسير والسلف، لأن من المعانی التي قد تسمى تأویلاً ما هو صحيح، منقول عن بعض السلف، فلم أثق ما تقوم الحجة على صحته، فإذا ما قامت الحجة على صحته وهو منقول عن السلف، فليس من التحريف.

وقلت له أيضاً: ذكرت في النفي التمثيل، ولم أذكر التشبيه، لأن التمثيل نفاه الله بنص كتابه حيث قال ﴿لَيْسَ كَمُثْلِهِ شَيْءٌ﴾ وقال : ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيَاً﴾ وكان أحب إليّ من لفظ ليس في كتاب الله ، ولا في سنة رسول الله ﷺ ، وإن كان قد يعني بنفيه معنى صحيح ، كما قد يعني به معنى فاسد .

ولما ذكرت أنهم لا ينفون عنه ما وصف به نفسه ، ولا يحرفون الكلم عن مواضعه، ولا يلحدون في أسماء الله وآياته ، جعل بعض الحاضرين يتعرض من ذلك ؛ لاستشعاره ما في ذلك من الرد الظاهر عليه؛ ولكن لم يتوجه له ما يقوله ؛ وأراد أن يدور بالأسئلة التي أعلمها، فلم يتمكن لعلمه بالجواب.

ولما ذكرت آية الكرسي : أظنه سأله الأمير عن قولنا: لا يقربه شيطان حتى يصبح ، فذكرت حديث أبي هريرة في الذي كان يسرق صدقة الفطر، وذكرت أن البخاري رواه في صحيحه ، وأخذنا يذكرون نفي التشبيه والتجمیم ، ويطنبون في هذا ، ويعرضون لما ينسبه بعض الناس إلينا من ذلك .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية : فقلت قولي من غير تکییف ولا تمثیل ینفی کل باطل ، وإنما اخترت هذین الاسمین لأن التکییف مأثور نفیه عن السلف كما قال ربیعة ، ومالك ، وابن عینة وغيرهم . - المقالة التي تلقاها العلماء بالقبول - الاستواء معلوم والکیف مجهول ، والایمان به واجب ، والسؤال عنه بدعة ». فاتفق هؤلاء السلف على أن التکییف غير معلوم لنا ، فنفيت ذلك اتباعاً لسلف الأمة .

وهو أيضاً منفي بالنص والإجماع القديم، مع دلالة العقل على نفيه، ونفي التكليف إذ كنه الباري غير معلوم للبشر، وذكرت في ضمن ذلك كلام الخطابي الذي نقل أنه مذهب السلف، وهو إجراء آيات الصفات، وأحاديث الصفات على ظاهرها، مع نفي الكيفية والتشبيه عنها؛ إذ الكلام في الصفات فرع على الكلام في الذات، يحتمل فيه حذوه، ويتبع فيه مثاله، فإذا كان إثبات الذات : إثبات وجود لا إثبات تكليف، فكذلك إثبات الصفات : إثبات وجود لا إثبات تكليف.

فقال أحد كبار المخالفين : فحينئذ يجوز أن يقال : هو جسم لا كال أجسام فقلت له أنا وبعض الفضلاء الحاضرين : إنما قيل أنه يوصف الله بما وصف به نفسه ، وبما وصفه به رسوله ﷺ وليس في الكتاب والسنة أن الله جسم ، حتى يلزم هذا السؤال .

وأخذ بعض القضاة الحاضرين ، والمعروفين بالديانة ، يريد إظهار أن ينفي عنا ما يقول وينسبه البعض إلينا ، فجعل يزيد في المبالغة في نفي التشبيه ، والتجمسي ، فقلت : ذكرت فيها في غير موضع من غير تحرير ولا تعطيل ، ومن غير تكليف ولا تمثيل .

ثم قلت : وما وصف الرسول به ربه من الأحاديث الصلاح ، التي تلقاها أهل المعرفة بالقبول ، وجب الإيمان بها كذلك ، إلى أن قلت : إلى أمثال هذه الأحاديث الصلاح ، التي يخبر فيها رسول الله ﷺ ، بما يخبر به ، فإن الفرقة الناجية ، أهل السنة والجماعة ، يؤمنون بذلك ، كما يؤمنون بما أخبر الله في كتابه ، من غير تحرير ولا تعطيل ، ومن غير تكليف ولا تمثيل ، بل هم وسط في فرق الأمة ، كما أن الأمة هي الوسط في الأمم .

فهم وسط في باب صفات الله بين أهل التعطيل الجهمية ، وبين أهل التمثيل المشبهة .

ولما رأى هذا الحاكم العدل : ممالاتهم وتعصبهم ، ورأى قلة العارف الناصر ، وخافهم قال : أنت صنفت اعتقاد الإمام أحمد ، فتقول هذا اعتقاد

الإمام أحمد، يعني والرجل يصنف على مذهبه فلا يعرض عليه، فإن هذا مذهب متبع، وغرضه بذلك قطع خاصمة الخصوم.

فقلت : ما جمعت إلّا عقيدة السلف الصالح جميعهم، ليس للإمام أحمد اختصاص بهذا، والإمام أحمد إنما هو مبلغ العلم الذي جاء به النبي ﷺ ، ولو قال أحد من تلقاء نفسه ما لم يجيء به الرسول لم نقبله ، وهذه عقيدة محمد ﷺ !!

وقلت مرات : قد أمهلت كل من خالفني في شيء منها ثلاثة سنين ، فإن جاء بحرف واحد عن أحد من القرون الثلاثة - التي أثني عليها النبي ﷺ ، حيث قال : « خير القرون القرن الذي بعثت فيه ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم » - يخالف ما ذكرته فأنا أرجع عن ذلك ، وعلى أن آتي بنقول جميع الطوائف - عن القرون الثلاثة، توافق ما ذكرته - من الحنفية ، والمالكية ، والشافعية ، والحنبلية ، والأشعرية ، وأهل الحديث ، والصوفية ، وغيرهم .

وقلت أيضاً في غير هذا المجلس : الإمام أحمد - رحمه الله - لما انتهى إليه من السنة، ونصوص رسول الله ﷺ ، أكثر ما انتهى إلى غيره ، وابتلى بالمحنة ، والرد على أهل البدع ، أكثر من غيره ، كان كلامه وعلمه في هذا الباب أكثر من غيره، فصار إماماً في السنة أظهر من غيره، وإنّ فالأمر كما قاله بعض شيوخ المغاربة - العلماء الصالحة - قال : المذهب لمالك والشافعي ، والظهور لأحمد بن حنبل .

يعني أن الذي كان عليه أحمد، عليه جميع أئمة الإسلام ، وإن كان بعضهم من زيادة العلم والبيان ، وإظهار الحق ودفع الباطل ما ليس لبعض .

وما جاء فيها: وما وصف به النبي ﷺ ربه في الأحاديث الصحاح، التي تلقاها أهل العلم بالقبول، وما جاء في حديث أبي سعيد - المتفق عليه في الصحيحين عن النبي ﷺ ، يقول الله يوم القيمة :

« يا آدم فيقول : ليك وسعديك ، فينادي بصوت : إن الله يأمرك أن تبعث بعثاً إلى النار، الحديث - سألهم الأمير: هل هذا الحديث صحيح؟

فقلت : نعم . هو في الصحيحين ، ولم يخالف في ذلك أحد ، واحتاج المنازع إلى الإقرار به ، ووافق الجماعة على ذلك . وطلب الأمير الكلام في مسألة الحرف والصوت ؛ لأن ذلك طلب منه .

فقلت : هنا الذي يحكيه كثير من الناس ، عن الإمام أحمد وأصحابه ، أن صوت القارئين ومداد المصاحف قديم أزلي - كما نقله مجد الدين الخطيب وغيره - كذب مفترى ، لم يقل ذلك أحمد ، ولا أحد من علماء المسلمين ؛ لا من أصحاب أحمد ولا من غيرهم .

وأخرجت كراساً قد أحضرته مع العقيدة ، فيه ألفاظ أحمد ، مما ذكره الشيخ أبو بكر الخلال ، في كتاب السنة عن الإمام أحمد ، وما جمعه صاحبه أبو بكر المروزي من كلام الإمام أحمد ، وكلام أئمة زمانه وسائر أصحابه : أن من قال لفظي بالقرآن مخلوق فهو جهمي ، ومن قال غير مخلوق فهو مبتدع .

يقول ابن تيمية رحمه الله : قلت : وهذا هو الذي نقله الأشعري ، في كتاب المقالات ، عن أهل السنة ، وأصحاب الحديث ، وقال : إنه يقول به . قلت : فكيف بن يقول : لفظي قديم ؟ فكيف بن يقول : صوتي غير مخلوق ؟ فكيف بن يقول : صوتي قديم ؟ .

ونصوص الإمام أحمد في الفرق بين تكلم الله بصوت ، وبين صوت العبد ، كما نقله البخاري صاحب الصحيح في كتاب خلق أفعال العباد وغيره من أئمة السنة .

وأحضرت جواب مسألة كنت سئلت عنها قديماً، فيمن حلف بالطلاق في مسألة «الحرف والصوت» ومسألة «الظاهر في العرش» فذكرت من الجواب القديم في هذه المسألة، وتفصيل القول فيها، وأن إطلاق القول أن القرآن هو الحرف والصوت ، أو ليس بحرف وصوت : كلامها بدعة، حدثت بعد المائة الثالثة، وقلت : هذا جوابي .

وكانت هذه المسألة : قد أرسل بها طائفة من المعاندين المتجهمة ، من

كان بعضهم حاضراً في المجلس ، فلما وصل إليهم الجواب أسكتهم ، وكانوا قد ظنوا أنّي إن أجبت بما في ظنهم أنّ أهل السنة يقولون : حصل مقصودهم من الشناعة ، وإن أجبت بما يقولونه هم : حصل مقصودهم من المموافقة ، فلما أجيروا بالفرقان الذي عليه أهل السنة ، وليس هو ما يقولونه هم ، ولا ما يقللونه عن أهل السنة ، إذ قد يقوله بعض الجهال بهتوا لذلك ؛ وفيه أن القرآن كله كلام الله حروفه ومعانيه ، ليس القرآن إسماً لمجرد الحروف ، ولا لمجرد المعاني .

وقلت في ضمن الكلام لصدر الدين بن الوكيل - لبيان كثرة تناقضه ، وأنه لا يستقر على مقالة واحدة ، وإنما يسعى في الفتنة والتفرق بين المسلمين - عندي عقيدة للشيخ أبي البيان . فيها أن من قال : إن حرفًا من القرآن مخلوق فقد كفر .

وقد كتبت عليها بخطك ، أن هذا مذهب الشافعي ، وأئمة أصحابه ، وإنك تدين الله بها فاعترف بذلك ، فأنكر عليه الشيخ كمال الدين بن الزملکاني ذلك .

فقال ابن الوكيل : هذا نص الشافعي . وراجعته في ذلك مراراً ، فلما اجتمعنا في المجلس الثاني^(١) : ذكر لابن الوكيل أن ابن درباس نقل في كتاب الانتصار عن الشافعي مثل ما نقلت .

فلما كان في المجلس الثالث^(٢) : أعاد ابن الوكيل الكلام في ذلك .

فقال الشيخ كمال الدين لصدر الدين بن الوكيل : قد قلت في ذلك المجلس للشيخ تقى الدين : أنه من قال إن حرفًا من القرآن مخلوق فهو كافر ، فأعاده مراراً فغضب هنا الشيخ كمال الدين غضباً شديداً ، ورفع صوته ، وقال :

(١) وقد عقد المجلس الثاني يوم الجمعة بعد الصلاة ثانية عشر من رجب سنة ٧٠٥ هـ . قال فيها ابن كثير في تاريخه المشهور : « وحضر الشيخ صفوي الدين الهندي وتكلم مع الشيخ تقى الدين كلاماً كثيراً ، ولكن ساقته لاتمت بحراً البداية والنهاية (٣٦/١٤) بتصرف .

(٢) أما المجلس الثالث فقد عقد يوم سبعة شaban سنة ٧٠٥ هـ ، وقد اجتمع أمر الجماعة على الرضى بالعقيدة المذكورة (٣٧/١٤) بتصرف من البداية والنهاية .

هذا يكفر أصحابنا المتكلمين الأشعرية، الذين يقولون: إن حروف القرآن مخلوقة، مثل إمام الحرمين وغيره، وما تصر على تكبير أصحابنا.

فأنكر ابن الوكيل أنه قال ذلك، وقال: ما قلت ذلك؛ وإنما قلت: من أنكر حرفًا من القرآن فقد كفر، فرد ذلك عليه الحاضرون، وقالوا: ما قلت إلا كذا وكذا، وقالوا: ما ينبغي لك أن تقول قوله وتتراجع عنه، وقال بعضهم: ما قال هذا، فلما حرفوا، قال ما سمعناه قال هذا، حتى قال نائب السلطان: واحد يكذب، وآخر يشهد، والشيخ كمال الدين غضب! فالتفت إلى قاضي القضاة، نجم الدين الشافعي يستصرخه لانتصاره على ابن الوكيل، حيث كفر أصحابه.

فقال القاضي نجم الدين: ما سمعت هذا، فغضب الشيخ كمال الدين، وقال كلاماً لم أضبط لفظه، إلا أن معناه: أن هذا غضاضة على الشافعي، وعار عليهم أن أتهمهم بيكفرون ولا يتصر لهم.

ولم أسمع من الشيخ كمال الدين ما قاله في حق القاضي نجم الدين، واستثبت من غيري من حضر هل سمع منه في حقه شيئاً؟ فقالوا: لا. لكن القاضي اعتقد أن التعبير لأجله ، ولكونه قاضي المذهب ، ولم ينتصر ل أصحابه ، وأن الشيخ كمال الدين قصده بذلك ، فغضب قاضي القضاة نجم الدين ، وقال: اشهدوا عليَّ أني عزلت نفسي ، وأخذ يذكر ما يستحق به التقديم ، والاستحقاق ، وعفته عن التكلم في أعراض الجماعة ، ويستشهد بنائب السلطان في ذلك ، وقلت له كلاماً مضمونه تعظيمه ، واستحقاقه ، لدوماً المباشرة في هذه الحال.

ولما جاءت مسألة القرآن: ومن الإيمان به بالإيمان بأن القرآن كلام الله ، غير مخلوق ، منه بدأ وإليه يعود : نازع بعضهم في كونه منه بدأ وإليه يعود ، وطلبوها تفسير ذلك .

فقلت : أما هذا القول: فهو المأثور، الثابت عن السلف، مثل ما نقله عمرو بن دينار ، قال: أدركت الناس منذ سبعين سنة، يقولون: الله الخالق وما سواه مخلوق، إلا القرآن، فإنه كلام الله غير مخلوق، منه بدأ وإليه يعود.

وقد جمع غير واحد ما في ذلك من الآثار عن النبي ﷺ والصحابة والتابعين، كالحافظ أبي الفضل بن ناصر، والحافظ أبي عبد الله المقطري، وأما معناه، فإن قوله: منه بدأ أي هو المتكلم به، وهو الذي أنزله من لدنك، ليس هو كما تقول الجهمية، أنه خلق في الهوى أو غيره، أو بدأ من عند غيره.

وأما إليه يعود، فإنه يسري به في آخر الزمان، من المصاحف والصدور، فلا يبقى في الصدور منه كلمة، ولا في المصاحف منه حرف، ووافق على ذلك غالب الحاضرين ، وسكت المنازعون .

وخاطبت بعضهم في غير هذا المجلس بأن أريته العقيدة التي جمعها الإمام القادري ، التي فيها أن القرآن كلام الله ، خرج منه فتوقف في هذا اللفظ ، فقلت: هكذا قال النبي ﷺ : - « ما تقرب العباد إلى الله بمثل ما خرج منه » يعني القرآن ، وقال خباب بن الأرت: يا هناء! تقرب إلى الله بما استطعت ، فلن يتقرب إليه بشيء أحب إليه مما خرج منه .

وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه - لما قرأ القرآن مسلمة الكذاب - إن هذا الكلام لم يخرج من إل - يعني رب - .

وجاء فيها: أن من الإيمان به : - الإيمان بأن القرآن كلام الله ، منزل غير مخلوق ، منه بدأ وإليه يعود ، وأن الله تكلم به حقيقة ، وأن هذا القرآن - الذي أنزله الله على محمد ﷺ - هو كلام الله حقيقة ، لا كلام غيره ، ولا يجوز إطلاق القول بأنه حكاية عن كلام الله ، أو عبارة ، بل إذا قرأ الناس ، أو كتبوه في المصاحف ، لم يخرج بذلك عن أن يكون كلام الله ، فإن الكلام إنما يضاف حقيقة إلى من قاله مبتدأ ، لا إلى من قاله مبلغًا مؤدياً ، فمتعض بعضهم من ثبات كونه كلام الله حقيقة ، بعد تسليمه أن الله تعالى تكلم به حقيقة .

ثم إنه سلم ذلك لما بين له أن المجاز يصح نفيه ، وهذا لا يصح نفيه ، ولما بين له أن أقوال المتقدمين المتأثرة عنهم وشعر الشعراء المضاف إليهم هو كلامهم حقيقة ، فلا يكون نسبة القرآن إلى الله بأقل من ذلك . فوافق الجماعة كلهم على

ما ذكر في مسألة القرآن ، وأن الله تكلم حقيقة ، وأن القرآن كلام الله حقيقة لا كلام غيره .

ولما ذكر فيها: أن الكلام إنما يضاف حقيقة إلى من قاله مبتدئاً، لا إلى من قاله مبلغاً مؤدياً: استحسنوا هذا الكلام وعظموه ، وأخذ أكبر الخصوم يظهر تعظيم هذا الكلام ، كابن الوكيل وغيره ، وأظهر الفرح بهذا التلخيص ، وقال: إنك قد أزلت عنا هذه الشبهة ، وشفيت الصدور ، ويدرك أشياء من هذا النط .

ولما جاء ما ذكر من الإيمان باليوم الآخر ، وتفصيله ونظمه: استحسنوا ذلك وعظموه ، وكذلك لما جاء ذكر الإيمان بالقدر وأنه على درجتين ، إلى غير ذلك مما فيها من القواعد الجليلة .

وكذا لما جاء ذكر الكلام في الفاسق الملي ، وفي الإيمان ، لكان اعترضه على ذلك بما سأذكره ، وكان مجموع ما اعترض به المنازعون ، المعاندون بعد انقضاء قراءة جميعها ، والبحث فيها عن أربعة أسئلة :

الأول : قولنا ومن أصول الفرقة الناجية أن الإيمان والدين قول وعمل ، يزيد وينقص ، قول القلب واللسان ، وعمل القلب واللسان والجوارح .

قالوا : فإذا قيل إن هذا من أصول الفرقة الناجية ، خرج عن الفرقة الناجية من لم يقل بذلك ، مثل أصحابنا المتكلمين ، الذين يقولون إن الإيمان هو التصديق ، ومن يقول الإيمان هو التصديق والإقرار ، وإذا لم يكونوا من الناجين : لزم أن يكونوا هالكين . وأما الأسئلة الثلاثة : وهي التي كانت عمدتهم فأوردوها على قولنا ، وقد دخل فيها ذكرناه من الإيمان بالله ، الإيمان بما أخبر الله في كتابه ، وتواتر عن رسول الله ﷺ ، وأجمع عليه سلف الأمة من أنه سبحانه فوق سمواته على عرشه ، على على خلقه ، وهو معهم أينما كانوا يعلم ما هم عاملون ، كما جمع بين ذلك في قوله تعالى : - ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سَتَةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلْجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا ، وَمَا يَنْزَلُ

من السماء وما يرجع فيها وهو معكم أينما كتم والله بما تعملون بصير) ^(١).

وليس معنى قوله ﴿ هو معكم ﴾ أنه مختلط بالخلق، فإن هذا لا توجهه اللغة، وهو خلاف ما أجمع عليه سلف الأمة، وخلاف ما فطر الله عليه الخلق، بل القمر آية من آيات الله من أصغر مخلوقاته ، وهو موضوع في السماء، وهو مع المسافر أينما كان، وغير المسافر، وهو سبحانه فوق العرش رقيب على خلقه، مهميـن عليهم، مطلع إليـهم ، إلى غير ذلك من معانـي ربوبـيـته .

وكل هذا الكلام الذي ذكره الله تعالى من أنه فوق العرش، وأنه معنا حق على حقيقته ، لا يحتاج إلى تحريف ، ولكن يصـان على الظـنـون الكاذـبة .

السؤال الثاني: قال بعضـهم: نـقـرـ بالـلـفـظـ الـوارـدـ، مـثـلـ حـدـيـثـ العـبـاسـ، حـدـيـثـ الـأـوـعـالـ، وـالـلـهـ فـوـقـ الـعـرـشـ، وـلـاـ نـقـولـ فـوـقـ السـمـوـاتـ، وـلـاـ نـقـولـ عـلـىـ الـعـرـشـ، وـقـالـواـ أـيـضاـ: نـقـولـ ﴿ الرـحـمـنـ عـلـىـ الـعـرـشـ اـسـتـوـيـ﴾ ^(٢). وـلـاـ نـقـولـ اللـهـ عـلـىـ الـعـرـشـ اـسـتـوـيـ، وـلـاـ نـقـولـ مـسـتـوـيـ، وـأـعـادـواـ هـذـاـ الـمـعـنـىـ مـرـارـاـ، أـيـ أنـ الـلـفـظـ الـذـيـ وـرـدـ، يـقـالـ الـلـفـظـ بـعـيـنـهـ، وـلـاـ يـدـلـ بـلـفـظـ يـرـادـفـهـ، وـلـاـ يـفـهـمـ لـهـ مـعـنـىـ أـصـلـاـ، وـلـاـ يـقـالـ إـنـهـ يـدـلـ عـلـىـ صـفـةـ اللـهـ أـصـلـاـ، وـنـبـسـطـ الـكـلـامـ فـيـ هـذـاـ فـيـ الـمـجـلـسـ الـثـالـثـ كـمـاـ سـنـذـكـرـهـ إـنـ شـاءـ اللـهـ تـعـالـىـ.

السؤال الثالث: قالـواـ: التـشـبـيـهـ بـالـقـمـرـ فـيـ الـقـمـرـ، يـكـونـ الـقـمـرـ فـيـ الـسـمـاءـ.

السؤال الرابع: قالـواـ: قـولـكـ حـقـ عـلـىـ حـقـيـقـتـهـ، الـحـقـيـقـةـ هـيـ الـمـعـنـىـ الـلـغـوـيـ، وـلـاـ يـفـهـمـ مـنـ الـحـقـيـقـةـ الـلـغـوـيـ إـلـاـ اـسـتـوـاءـ الـأـجـسـامـ وـفـوـقـيـتـهاـ؛ وـلـمـ تـضـعـ الـعـرـبـ ذـلـكـ إـلـاـ هـاـ، فـإـثـبـاتـ الـحـقـيـقـةـ هـوـ مـخـضـ الـتـجـسـيمـ، وـنـفـيـ الـتـجـسـيمـ مـعـ هـذـاـ تـنـاقـضـ أوـ مـصـانـعةـ .

فـأـجـبـتـهـمـ عـنـ الـأـسـئـلـةـ، بـأـنـ قـولـيـ اـعـقـادـ الـفـرـقـةـ النـاجـيـةـ هـيـ الـفـرـقـةـ الـتـيـ

(١) الحـدـيـدـ (٤/٥٧) رـاجـعـ تـفـسـيرـ الـآـيـةـ الـكـرـيـةـ فـيـ مـخـتـصـرـ اـبـنـ كـثـيرـ (٣/٤٤٥).

(٢) طـ (٢٠/٥).

وصفها النبي ﷺ بالنجاة، حيث قال: - «تفترق أمتي على ثلات وسبعين فرقة، اثنتان وسبعون في النار وواحدة في الجنة، وهي من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي»^(١). فهذا الاعتقاد: هو المأثور عن النبي ﷺ، وأصحابه رضي الله عنهم، وهم ومن اتبعهم الفرقة الناجية، فإنه قد ثبت عن غير واحد من الصحابة أنه قال: الإيمان يزيد وينقص، وكل ما ذكرته في ذلك فإنه مأثور عن الصحابة بالأسانيد الثابتة لفظه ومعناه، وإذا خالفهم من بعدهم لم يضر في ذلك.

ثم قلت لهم: وليس كل من خالف في شيء من هذا الاعتقاد يجب أن يكون هالكاً، فإن المنازع قد يكون مجتهداً خطئاً يغفر الله له خطأه، وقد لا يكون بلغه في ذلك من العلم ما تقوم به عليه الحجة، وقد يكون له من الحسنات ما يمحو الله به سيئاته؛ وإذا كانت ألفاظ الوعيد المتناولة له لا يجب أن يدخل فيها المتأول، والقانت، وذو الحسنات الماحية، والمغفور له وغير ذلك: فهذا أولى، بل موجب هذا الكلام أن من اعتقاد ذلك نجا في هذا الاعتقاد، ومن اعتقاد ضده فقد يكون ناجياً، وقد لا يكون ناجياً، كما يقال: من صمت نجا.

وأما السؤال الثاني: فأجبتهم أولاً بأن كل لفظ قلته فهو مأثور عن النبي ﷺ، مثل لفظ فوق السموات، ولفظ على العرش وفوق العرش، وقلت اكتبوا الجواب، فأخذ الكاتب في كتابته، ثم قال بعض الجماعة: قد طال المجلس اليوم، فيؤخر هذا إلى مجلس آخر، ونكتبون أنتم الجواب، وتحضرونه في ذلك المجلس.

فأشار بعض المواقفين بأن يتمم الكلام بكتابة الجواب، لشلا تنشر أسئلتهم واعتراضهم، وكان الخصوم لهم غرض في تأخير كتابة الجواب؛ ليستعدوا لأنفسهم، ويطالعوا، ويخذلوا من غاب من أصحابهم، يتأملوا

(١) راجع روایات هذا الحديث في كشف الخفا للعجلوني (٣٦٩ / ٣٧٠) ومن هذا الحديث نفهم أن الفرقة الناجية هم أهل السنة، الذين يعلمون بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

العقيدة فيما بينهم ، ليتمكنوا من الطعن والاعتراض ، فحصل الاتفاق على أن يكون تمام الكلام يوم الجمعة ، وقمنا على ذلك .

وقد أظهر الله من قيام الحجة ، وبيان المحجة ، ما أعز الله به السنة والجماعة ، وأرغم به أهل البدعة والضلال ، وفي نفوس كثير من الناس أمرًا لما يحدث في المجلس الثاني ، وأخذوا في تلك الأيام يتأملونها ، ويتأملون ما أجبت به في مسائل تتعلق بالاعتقاد ، مثل «المسألة الحموية» في الاستواء والصفات الخبرية وغيرها .

* * *

فلما كان المجلس الثاني يوم الجمعة في اثنى عشر رجب ، وقد أحضروا أكثر شيوخهم من لم يكن حاضرًا ذلك المجلس ، وأحضروا معهم زيادة «صفي الدين الهندي» وقالوا : هذا أفضل الجماعة وشيخهم في علم الكلام ، وبحثوا فيما بينهم ، واتفقوا وتواتروا ، وحضروا بقوة واستعداد غير ما كانوا عليه ، لأن المجلس الأول أتواهم بغتة ، وإن كان أيضًا بغتة للمخاطب ، الذي هو المسؤول والمجيب والمناظر .

فلما اجتمعنا : وقد أحضرت ما كتبته من الجواب عن أسئلتهم المقدمة ، التي طلبوا تأخيره إلى اليوم : حمدت الله بخطبة الحاجة ، خطبة ابن مسعود رضي الله عنه ، ثم قلت : إن الله تعالى أمرنا بالجماعة والاتفاق ، ونهانا عن الفرقة والاختلاف .

وقال لنا في القرآن : ﴿ واعتصموا بحبل الله جيًعاً ولا تفرقوا ﴾^(١) وقال : ﴿ إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيئاً لست منهم في شيء ﴾^(٢) وقال : ﴿ ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات ﴾^(٣) .

وربنا واحد وكتابنا واحد ، ونبينا واحد وأصول الدين لا تتحمل التفرق

(١) آل عمران (١٠٣/٣).

(٢) الأنعام (١٥٩/٦).

(٣) آل عمران (١٠٥/٣).

والاختلاف ، وأنا أقول ما يوجب الجماعة بين المسلمين ، وهو متفق عليه بين السلف ، فإن وافق الجماعة فالحمد لله ، وإنما فمن خالفني بعد ذلك ، كشفت له الأسرار ، وهللت الأستار ، وبينت المذاهب الفاسدة التي أفسدت الملل والدول ، وأنا أذهب إلى سلطان الوقت على البرير ، وأعرفه من الأمور ما لا أقوله في هذا المجلس ، فإن للسنن كلاماً ، وللحرب كلاماً . وقلت : لا شك أن الناس يتنازعون ، يقول هذا أنا حنبلي ، ويقول هذا أنا أشعري ، ويجري بينهم تفرق وفتن ، واختلف على أمور لا يعرفون حقيقتها .

وأنا أحضرت ما يبين اتفاق المذاهب فيما ذكرته ، وأحضرت : (كتاب تبيين كذب المفترى ، فيما ينسب إلى الشيخ أبي الحسن الأشعري رحمه الله) تأليف الحافظ أبي القاسم بن عساكر رحمه الله .

وقلت : لم يصنف في أخبار الأشعري المحمودة كتاب مثل هذا ، فقد ذكر فيه لفظة الذي ذكره في كتابه (الإبانة) .

فلما انتهيت إلى ذكر المعتزلة ، سأل الأمير عن معنى المعتزلة ، فقلت : كان الناس في قديم الزمان قد اختلفوا في الفاسق الملي ، وهو أول اختلاف حدث في الملة ، هل هو كافر أو مؤمن ؟ .

فقالت الخوارج : إنه كافر . وقالت الجماعة : إنه مؤمن . وقالت طائفه : نقول هو فاسق ، لا مؤمن ولا كافر ، تنزله منزلة بين المنزليتين ، وخلدوه في النار ، واعتزلوا حلقة الحسن البصري وأصحابه - رحمه الله تعالى - فسموا المعتزلة .

وقال الشيخ الكبير بجنته وردائه : ليس كما قلت ، ولكن أول مسألة اختلف فيها المسلمون ، مسألة الكلام وسمي المتكلمون متكلمين لأجل تكلمهم في ذلك ، وكان أول من قالها : عمرو بن عبيد ، ثم خلفه بعد موته عطاء بن واصل ، هكذا قال وذكر نحواً من هذا .

فغضبت عليه وقلت : أخطأت ، وهذا كذب مخالفة للإجماع . وقلت له : لا أدب ولا فضيلة ، لا تأدبت معي في الخطاب ، ولا أصبحت في الجواب !!

ثم قلت : الناس اختلفوا في مسألة الكلام ، في خلافة المؤمن ، ويعدها في أواخر المائة الثانية ، وأما المعتزلة فقد كانوا قبل ذلك بعثرين ، في زمن عمرو بن عبيد بعد موت الحسن البصري ، في أوائل المائة الثانية ، ولم يكن أولئك قد تكلموا في مسألة الكلام ، ولا تنازعوا فيها ، وإنما أول بدعتهم تكلمهم في مسائل الأسماء والأحكام والوعيد .

فقال : هذا ذكره الشهريستاني في كتاب (الملل والنحل) فقلت : الشهريستاني ذكر ذلك في اسم المتكلمين ، لما سمو متكلمين ؟ لم يذكره في اسم المعتزلة .

والأمير إنما سأله عن اسم المعتزلة ، وأنكر الحاضرون عليه ، وقالوا : غلط . وقلت : في ضمن كلامي أنا أعلم كل بدعة حدثت في الإسلام ، وأول من ابتدعها ، وما كان سبب ابتداعها . وأيضاً فيما ذكره الشهريستاني ليس بصحيح في اسم المتكلمين ، فإن المتكلمين كانوا يسمون بهذا الاسم قبل منازعتهم في مسألة الكلام ، وكانوا يقولون عن واصل بن عطاء إنه متكلم ، ويصفونه بالكلام ، ولم يكن الناس اختلفوا في مسألة الكلام .

وقلت : أنا وغيري إنما هو واصل بن عطاء ، أي : لا عطاء بن واصل كما ذكره المعترض ، قلت : وواصل لم يكن بعد موت عمرو بن عبيد ، وإنما كان قريبه .

وقد روى أن واصل بن عطاء تكلم مرة بكلام ، فقال عمرو بن عبيد : لو بعثنبي ما كان يتكلم بأحسن من هذا ، وفصاحته مشهورة حتى قيل إنه كان ألغ وكان يخترب عن الراء حتى قيل له : أمر الأمير أن يحفر بئراً . فقال : أوعز القائد أن يقلب قليب في الجادة . ولما انتهى الكلام إلى ما قاله الأشعري قال الشيخ المقدم فيهم : لا ريب أن الإمام أحمد إمام عظيم القدر ، ومن أكبر أئمة الإسلام ، لكن قد انتسب إليه أناس ابتدعوا أشياء ، فقلت : أما هذا فحق ، وليس هذا من خصائص أحد ، بل ما من إمام إلّا وقد انتسب إليه أقوام هو منهم بريء ، قد انتسب إلى مالك أناس مالك بريء منهم ، وانتسب إلى

الشافعي أناس هو بريء منهم ، وانتسب إلى أبي حنيفة أناس هو بريء منهم ، وقد انتسب إلى موسى أناس هو منهم بريء ، وانتسب إلى عيسى عليه السلام أناس هو منهم بريء ، وقد انتسب إلى علي بن أبي طالب أناس هو بريء منهم ، ونبينا صلوات الله عليه قد انتسب إليه من القراءة والباطنية وغيرهم من أصناف الملحدة والمنافقين ، من هو بريء منهم .

وذكر في كلامه ، إنه انتسب إلى أحد ناسٍ من الحشوية والمشبهة ونحو هذا الكلام ، فقلت : المشبهة والمجسمة في غير أصحاب الإمام أحمد أكثر منهم فيهم ، هؤلاء أصناف الأكراد كلهم شافعية ، وفيهم من التشبيه والتجمسي ، ما لا يوجد في صنف آخر ، وأهل جيلان فيهم شافعية وحنبلية ، قلت : وأما الحنبلية المحضة فليس فيهم من ذلك ما في غيرهم .

وكان من تمام الجواب أن الكرامية المجسمة كلهم حنفية ، وتكلمت على لفظ الحشوية - ما أدرني جواباً عن سؤال الأمير أو غيره ، أو عن غير جواب - فقلت : هذا اللفظ أول من ابتدعه المعتزلة ؛ فإنهم يسمون الجماعة والسوداد الأعظم الحشو ؛ كما تسميمهم الرافضة الجمورو ، وحشو الناس هم عموم الناس وجمهورهم ، وهم غير الأعيان المتميزين ، يقولون هذا من حشو الناس كما يقال هذا من جهورهم .

وأول من تكلم بهذا عمرو بن عبيد ، وقال : كان عبد الله بن عمر رضي الله عنه حشوياً : فالمعزلة سموا الجماعة حشوأ ، كما تسميه الرافضة الجمورو .
وقلت : لا أدرني - في المجلس الأول أو الثاني - أول من قال إن الله جسم هشام بن الحكم الراضاي .

وقلت لهذا الشيخ : من في أصحاب الإمام أحمد رحمه الله حشوي ، بالمعنى الذي تريده؟ الأئم ، أبو داود ، المروذ ، الخلال ، أبو بكر بن عبد العزيز ، أبو الحسن التميمي ، ابن حامد ، القاضي أبو يعلى ، أبو الخطاب ، ابن عقيل؟ ورفعت صوتي وقلت : سمهـم ، قـل لي مـنـهـم؟ مـنـهـم؟

أيكتب ابن الخطيب وافتراه على الناس في مذاهبهم تبطل الشريعة، وتندرس معلم الدين؟ كما نقل هو وغيره عنهم أنهم يقولون: إن القرآن القديم هو أصوات القارئين، ومداد الكاتبين، وأن الصوت والمداد قديم أزلي؟ من قال هذا؟ وفي أي كتاب وجد هذا عنهم؟ قل لي! وكما نقل عنهم أن الله لا يرى في الآخرة باللزوم الذي ادعاه، والمقدمة التي نقلها عنهم؛ وأخذت ذكر ما يستحقه هذا الشيخ، مع أنه كبير الجماعة وشيخهم، وأن فيه من العقل والحكمة والدين ما يستحق أن يعامل بموجبه وأمرت بقراءة العقيدة جيعها عليه؛ فإنه لم يكن حاضراً في المجلس الأول، وإنما أحضره في الثاني انتصاراً به.

وحدثني الثقة عنه أنه بعد خروجه من المجلس، اجتمع به وقال له: أخبرني عن هذا المجلس، فقال ما لفلان ذنب ولا لي، فإن الأمير سأل عن شيء فأجابه عنه، فظننته سأله عن شيء آخر.

وقال: قلت لهم أنتم ما لكم على الرجل اعتراض، فإنه نصر ترك التأويل، وأنتم تنصرون قول التأويل، وما قولان للأشعري.

وقال: أنا اختار قول ترك التأويل، وأخرج وصيته التي أوصى بها، وفيها قول ترك التأويل.

قال الحاكبي لي: فقلت له: بلغني عنك أنك قلت في آخر المجلس - لما أشهد الجماعة على أنفسهم بالموافقة - لا تكتبوا عني نفياً ولا إثباتاً، فلم ذلك؟ فقال: لوجهين:

أحدهما: أنني لم أحضر قراءة جميع العقيدة في المجلس الأول.

والثاني: لأن أصحابي طلبوني ليتصروا بي، فما كان يليق أن أظهر خالفتهم، فسكت من الطائفتين.

وأمرت غير مرة أن يعاد قراءة العقيدة على هذا الشيخ، فرأى بعض الجماعة أن ذلك تطويل، وأنه لا يقرأ عليه إلا الموضع الذي لم عليه سؤال. وأعظمه لفظ الحقيقة، فقرءوه عليه، فذكر هو بحثاً حسناً يتعلق بدلاله اللفظ،

فحسته ومدحته عليه ، وقلت: لا ريب أن الله حي حقيقة، عليم حقيقة، سميع حقيقة، بصير حقيقة، وهذا متفق عليه بين أهل السنة والصفائية من جميع الطوائف، ولو نازع بعض أهل البدع في بعض ذلك، فلا ريب أن الله موجود، والمخلوق موجود، ولفظ الوجود سواء كان مقولاً عليهم بطريق الاشتراك اللفظي فقط، أو بطريق التواطئ المتضمن للإشتراك لفظاً ومعنى، أو بالتشكك الذي هو نوع من التواطئ .

فعل كل قول: فالله موجود حقيقة، والمخلوق موجود حقيقة، ولا يلزم من إطلاق الإسم على الخالق والمخلوق بطريق الحقيقة محدود، ولم أرجح في ذلك المقام قولأً من هذه الثلاثة على الآخر، لأن غرضي تحصل على كل مقصودي .

وكان مقصودي تقرير ما ذكرته على قول جميع الطوائف، وأن أبين اتفاق السلف ومن تبعهم على ما ذكرت ، وأن أعيان المذاهب الأربع ، والأشعري ، وأكابر أصحابه على ما ذكرته ، فإنه قبل المجلس الثاني: اجتمع بي من أكابر علماء الشافعية ، والمتسبين إلى الأشعرية والحنفية وغيرهم من عظم خوفهم من هذا المجلس ، وخافوا انتصار الخصوم فيه وخافوا على نفوسهم أيضاً من تفرق الكلمة، فلو أظهرت الحجة التي ينتصر بها ما ذكرته أو لم يكن من أئمة أصحابهم من يوافقهم لصارت فرقة ولصعب عليهم أن يظهروا في المجالس العامة الخروج عن أقوال طوائفهم بما في ذلك من تمكן أعدائهم من أغراضهم .

فإذا كان من أئمة مذاهبهم من يقول ذلك، وقامت عليه الحجة، وبأن أنه مذهب السلف، أمكنهم إظهار القول به مع ما يعتقدونه في الباطن، من أنه الحق، حتى قال لي بعض الأكابر من الحنفية - وقد اجتمع بي - لو قلت لهذا مذهب أحد وثبت على ذلك لانقطع النزاع.

ومقصوده أنه يحصل دفع الخصوم عنك بأنه مذهب متبع، ويستريح المتتصر والمنازع من إظهار الموقفة.

فقلت: لا والله، ليس لأحد بن حنبل في هذا اختصاص، وإنما هو اعتقاد سلف الأمة وأئمّة أهل الحديث، وقلت أيضًا: هذا اعتقاد رسول الله ﷺ، وكل لفظ ذكره فأنا أذكر به آية، أو حديثاً، أو إجماعاً سلفياً، وأذكر من ينقل الإجماع عن السلف من جميع طوائف المسلمين ، والفقهاء الأربع ، والمتكلمين ، وأهل الحديث والصوفية .

وقلت لمن خاطبني من أكابر الشافعية لأبين أن ما ذكرته هو قول السلف ، وقول أئمّة أصحاب الشافعي ، وأذكر قول الأشعري ، وأئمّة أصحابه التي ترد على هؤلاء الخصوم ، ولبيتصرن كل شافعي ، وكل من قال بقول الأشعري المواقف المذهب السلف ، وأبين أن القول المحكي عنه في تأويل الصفات الخبرية قول لا أصل له في كلامه ، وإنما هو قول طائفة من أصحابه ، فللاأشعرية قولان، ليس للأشعري قولان. فلما ذكرت في المجلس أن جميع أسماء الله التي سمى بها المخلوق كلفظ الوجود الذي هو مقول بالحقيقة على الواجب ، والممكن ، على الأقوال الثلاثة، تنازع كبيران: هل هو معقول بالاشتراك أو بالتواتر؟.

فقال أحدهما: هو متواتر، وقال الآخر: هو مشترك، لثلا يلزم التركيب. وقال هذا: قد ذكر فخر الدين أن هذا التزاع مبني على أن وجوده هل هو عين ماهيته أم لا؟ فمن قال أن وجود كل شيء عين ماهيته، قال: إنه مقول بالاشتراك، ومن قال إن وجوده قدر زائد على ماهيته، قال إنه مقول بالتواتر.

فأخذ الأول يرجح قول من يقول: إن الوجود زائد على الماهية لينصر أنه مقول بالتواتر.

فقال الثاني: ليس مذهب الأشعري وأهل السنة أن وجوده عين ماهيته، فأنكر الأول ذلك، فقلت: أما متكلمو أهل السنة فعندهم أن وجود كل شيء عين ماهيته، وأما القول الآخر فهو قول المعتزلة أن وجود كل شيء قدر زائد على ماهيته .

وكل منها أصاب من وجہ ، فإن الصواب أن هذه الأسماء مقوله

بالتواطئ، كما قد قررته في غير هذا الموضع، وأجبت عن شبهة التركيب بالجوابين المعروفين وأما بناء ذلك على كون وجود الشيء عين ماهيته، أو ليس عينه، فهو من الغلط المضاف إلى ابن الخطيب، فإنما وإن قلنا إن وجود الشيء عين ماهيته، لا يجب أن يكون الاسم مقولاً عليه وعلى نظيره بالاشتراك اللفظي فقط، كما في جميع أسماء الأجناس.

فإن اسم السواد مقول على هذا السواد، وهذا السواد بالتواطئ، وليس عين هذا السواد هو عين هذا السواد، إذ الاسم دال على القدر المشترك بينها وهو المطلق الكلي، لكنه لا يوجد مطلقاً بشرط الاطلاق إلا في الذهن، ولا يلزم من ذلك نفي القدر المشترك بين الأعيان الموجودة في الخارج، فإنه على ذلك تنتفي الأسماء المتواتطة، وهي جمهور الأسماء الموجودة، وفي الغالب (وهي أسماء الأجناس اللغوية) وهو الإسم المطلق على الشيء، وعلى كل ما أشبهه سواء كان اسم عين أو اسم صفة، جامداً أو مشتقاً، سواء كان جنساً منطقياً أو فقهياً أو لم يكن. بل اسم الجنس في اللغة يدخل فيه الأجناس والأصناف والأنواع ونحو ذلك، وكلها أسماء متواتطة، وأعيان مسمياتها في الخارج متميزة.

وطلب بعضهم إعادة قراءة الأحاديث المذكورة في العقيدة؛ ليطعن في بعضها، فعرفت مقصوده، قلت: كأنك قد استعددت للطعن في حديث الأوغال: حديث العباس بن عبد المطلب - وكانوا قد تعنتوا حتى ظفروا بما تكلم به زكي الدين عبد العظيم، من قول البخاري في تاريخه: عبد الله بن عميرة لا يعرف له سماع من الأحنتف - قلت: هذا الحديث مع أنه رواه أهل السنن كأبي داود وابن ماجة والترمذى، وغيرهم، فهو مروي من طريقين مشهورين ، فالقلدح في أحدهما لا يقبح في الآخر.

فقال : أليس مداره على ابن عميرة؟ وقد قال البخاري: لا يعرف له سماع من الأحنتف؟.

فقلت : قد رواه إمام الأئمة ابن خزيمة ، في كتاب التوحيد، الذي اشترط فيه أنه لا يحتاج فيه إلا بما نقله العدل عن العدل، موصولاً إلى النبي

، قلت : والاثبات مقدم على النفي ، والبخاري إنما نفى معرفة سماعه من الأخفى ، فلم ينف معرفة الناس بهذا ، فإذا عرف غيره - كإمام الأئمة ابن خزيمة - ما ثبت به الاستاذ: كانت معرفته واثباته مقدماً على نفي غيره وعدم معرفته .

ووافق الجماعة على ذلك ، وأخذ بعض منهم يذكر من المدح ما لا يليق أن أحكى ، وأخذوا يناظرون في أشياء لم تكن في العقيدة ، ولكن لها تعلق بما أجبت به في مسائل ، ولها تعلق بما قد يفهمونه من العقيدة ، فأحضر بعض أكابرهم «كتاب الأسماء والصفات للبيهقي» رحمه الله تعالى ، فقال : هذا فيه تأويل الوجه عن السلف ، فقلت : لعلك تعني قوله تعالى : ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرُقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَا تَولُوا فَثُمَّ وَجَهَ اللَّهُ﴾^(١) فقال : نعم . قد قال مجاهد والشافعي يعني قبلة الله . فقلت : نعم ، هذا صحيح عن مجاهد والشافعي وغيرهما ، وهذا حق ، وليس هذه الآية من آيات الصفات . ومن عدها في الصفات فقد غلط ، كما فعل طائفه ؛ فإن سياق الكلام يدل على المراد حيث قال : ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرُقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَا تَولُوا فَثُمَّ وَجَهَ اللَّهُ﴾ والمشرق والمغرب الجهات .

والوجه هو الجهة ، يقال أي وجه تريده؟ أي أي جهة ، وأنا أريد هذا الوجه أي هذا الجهة ، كما قال تعالى : ﴿وَلِكُلِّ وَجْهٍ هُوَ مُوْلِيهَا﴾ وهذا قال : ﴿فَأَيْنَا تَوْلُوا فَثُمَّ وَجَهَ اللَّهُ﴾ أي تستقبلوا وتتوجهوا ، والله أعلم . وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

(١) البقرة (٢/١١٥).

دَرَاسَةٌ سِيْكُولُوجِيَّةٌ فِي شَخْصِيَّةِ
شَيْخِ الْإِسْلَامِ ابْنِ تِيمَيَّةَ

شيخ الاسلام ابن تيمية

هذا الرجل طراز فريد في تكوينه ومعدن نفيس في بنائه وطفرة نادرة من جنس البشر رزق الله به الإسلام ليتصف به من المبدعين والمحرفين الذين استطاعوا على حرمة الشريعة، وقالوا بالحلول والوحدة والاتحاد، وأولوا ما لا يستحق التأويل، وقالوا بالظاهر والباطن، وجعلوا من أنفسهم أقطاباً وأغواناً يلوذ بهم الناس هؤلاء المرجفون من أرباب الهراء والخزعيبلات الذين عطلوا بعض النصوص، وحرفوا في التفاسير وقالوا بأرائهم الضالة الجاهلية بما لم يقل به أحد من السلف، ولم يقره النبي ﷺ ولا أحد من صحابته رضي الله عنهم ورضوا عنه، ولا أحد من المبشرين بالجنة.

* * *

ومن باكير عظمة الرجل المظنون به أنه تولى الإفتاء وهو ابن الثنتي وعشرين عاماً من عمره ، وهذا إنما يدلنا على قوة الحافظة ورجاحة العقل وذكاء القرىحة وجودة الفطنة.

وليس عليه من حرج من كان ظليناً عند الناس ما دام شاعراً بصدق نيته مع ربه متمسكاً بعقيدته ، قائماً على موجبات هذه العقيدة من التوحيد الخالص الذي لم تُثبِّتْ شائبة .

وأعظم ما يكون البذل إذا كان بالنفس التي بها كل أمرٍ ظنين . . .
وأجل ما تكون النخوة إذا كانت سجية موروثة ، وفطرة ونجيبة مفطورة عليها هذا
الطراز اليتيم من الرجال ذوي الوجدان الحي النابض ، المطبوع على الشهامة
والنخوة والإيثار ، وذلكم الطراز الأول الذي جعل الله منه مشكناً ونوراً للهداية
لانتصار الأجيال من غياب التخلف وغيابات الضلال والوثنية المستشرية في
النفوس تمشي النار في الهشيم .

* * *

وشرة النفس غالباً ما تكون من أقوى الدوافع على الانتقام والتنة بما يتبرء
منه الحلم والفضل ، وهذا رجل وصفه معاصره بأنه كان ذا حدة وصرامة في
الحق ، لم يملك الدنيا ، ولم تملكه الدنيا فهو لا يتهالك عليها ، ولا يفزع ولا
يصيبه وجل ولا فزع من ملكوها ، فيعرض عليه كثيراً من المنح والهببات لقاء
العدول عن بعض مواقفه أو الرجوع عن بعض فتاواه ، لكنه يؤثر السجن
والعذاب والوحدة فيقول :

« السجن خلوة ، والنفي سياحة ، والقتل شهادة » أي رجل هذا وأية
نفس تلك وأية فطرة هذه المطبوعة على الصلابة والصرامة والقوة .

إن أقصى ما يروي ظماً حсадه وشانئه هو قته ، لكن هذه الفعلة
الشنعاء في نظرهم هي في نظره شهادة وهي أعلى مراتب البذل والعطاء وغاية ما
يتمناه ولقد حيل بينه وبين مقصوده .

ومن يقاسي الضيم والجيف والجور لا شك ولا ريب أنه يعاني من عقدة
التنة والثار والانتصاف ، وهذه النفوس الطبيعية المستوية أما نفوس العباقة من
الصالحين الذين ترفعوا بذواتهم فإنهم أقرب إلى الصفح والعفو والمساحة وهذه
أرقى درجات السمو الأخلاقي التي لا يتسرور إليها إلا أصحاب المهم العالية
والبصائر القوية واليقين الإيماني الثابت على جادة السواء والاستقامة .

هذا النجم الساطع في أفق الهداية والسؤدد أحبيط به وتناولته أغراض شتى

ذميمة من أناس معروفين ، وفي طرفة عين يقربه السلطان منه ، لكنه لا يغتر بهذه المعية لأن عمرها قصير في نظره وما لها إلى الزوال والإنتهاء .

وإن أحداً مثل هذا الرجل كان بالأمس هدفاً تنوشه الأغراض والسهام المسمومة وعندما يصبح فجأة موضع ثقة السلطان فإن أقل وأدنى ما يتوقع منه هو أن يطيع برقوس أولئك الذين اعتوروه بالأمس وحطوا من كرامته وألّبوا عليه ، ولا سيما أن السلطان أصبح يائماً أمره ويعمل مشورته ويقضي بقضائه لكنه رجل دين ، عرف الله حق معرفته ، وقدره حق قدره وشرفه الحق تبارك وتعالى بأن جعله منافحاً عن التوحيد مدافعاً عن المنهج السلفي الصالح مجاهداً بنفسه وروحه في سبيل إعلاء كلمة الحق ، وفيه يقول الشاعر :

يجود بالنفس إن ظن الجoward بها والجود بالنفس أقصى غاية الجسد

لما أخذ الناصر قلاوون في استصدار فتوى من ابن تيمية بقطع رؤوس أولئك المتأولين له المحرضين عليه ، إذا بالشيخ الإمام يقول في عفو الخlim وصفح المسلم وكرم المحتد وطيب الجريثومة يقول : إن دماءهم حرام عليك ، إن دماءهم حرام عليك .

قيل له إن هؤلاء ، فلان وفلان ، وفلان هم الذين وشوا بك للسلطان ، وأوقعوا بينك وبينه ورموك بالمنكرات قال بصوت جهوري في نبرة المؤمن : « كل من آذاني فهو اليوم في حلّ مني » وفي رواية : « كل من آذاني فهو اليوم في حلّ من جهتي » .

هكذا الخلق القوي أن يدفع الإنسان بالحسنة السيئة فيكون ذا فضل ، فإن القصاص عدل ، ولكن التجاوز فضل .

والذي يعرف الله حق المعرفة يربأ بنفسه عن أن يظلم إنساناً أو ينحي على نفس بريئة لأن إدراك قيمته سبحانه وتعالى زاجرٌ وحائل بين نزوات النفس وفريستها ، لأن إدراك قوة المهيمن يجعل الخشوع للحق سبحانه وتعالى والخشية منه أكبر منه فيدفعه عن الافتراء على خلق الله والتجر على عباده .

وإذا افتقدنا الفضل عند أهل العلم فain ننشده ونطلبه؟ لا شك ولا جرم أن أهل العلم منوط بهم أسباب الفضل والفضيلة وإنما كان علمهم ظاهراً ورياءً ولا يمكن بحال أن يخرج من مجالات الحدس والتخمين .

* * *

وحاسة النحوة سليقة في معادن بعض الناس جبلوا عليها ، فإن ذا النحوة يدفع بنفسه دفعاً لقاء الذود عن حريمه والدفاع عن حوزته وذمامه ، منها ركب من خاطر وتعرض للمهالك .

ويجب التفرقة بين حاسة النحوة وبين الرعونة والتهوك والتطرف الذي يساور بعض أصحاب الأراء ، وكثيراً ما يتبس الأمر بين هذه وتلك على من يحكم على الأمور بظواهرها من غير ما استقراء أو بحث .

فالتطرف والتهول ينجم من الترق والعجلة ، لكن النحوة والحماسة دافعها في القالب شعور عميق وعقيدة راسخة متصلة ثابتة ، وهي عون لصاحبها أي عون على التجدد والتحمل .

وشيخ الإسلام ابن تيمية رجل مقدم على غير اندفاع كما تعطينا العربية بعمق دلالتها واتساع مفهومها بفروقها الدقيقة المعبرة فرقاً جلياً لا يحتاج إلى بيان بين الإقدام والاندفاع .

فإنما قد يكون للإمام وقد يكون اندفاعاً للخلف ، ولكن الإقدام هو اندفاع وتقديم للأمام ، والمقدام عن غير اندفاع وجهته هي الأمان عن رؤية وأحكام إلى مراده وبغطيته ومقصوده .

* * *

ولا يصح قياس هذه الفطرة الإنسانية على مشاهير أبطال التاريخ ورجاله من علماء المسلمين ، لأن القياس يصبح فاسداً ، لأننا بدراستنا للتاريخ الإسلامي في القرون الوسطى المظلمة نجد أن العالم الإسلامي وببلاد العرب

عامة قد منيت بتأخر حضاري رهيب واضطربت أمورها اضطراباً عنيفاً، ثم ان الغزو التاري والصليبي من جهة أخرى أنه قواها وفت في ساعدها، وازدادت الأباطيل والخرافات لتسليمة الناس والترفيه عنهم والتسرية عما نزل بهم من البلاء.

وعظمة هذا الرجل تأتي من نزعته إلى الإصلاح وصراعه المير من أجل مبادئه وأفكاره ، وتجشم العنق والماكابدة لقاء تأدية رسالته، لقد حمل عن الناس همومهم وتخنن لهم وحذب عليهم وأشفق على ما هم فيه وعليه من ترهاط وأباطيل وزيف وفساد في العقيدة.. أراد إصلاحهم فنفروا وعمد إلى تنظيفهم فاجتمعوا على مكيدته والنيل منه، فكان كالعلم الراسخ لا يتزعزع ولا يتضعضع لأنه كان يستمد من الله العون والتوفيق .

كان يشغل بال الناس جيغاً ، من ثم كان لا بد أن يشغل بال السلاطين والحكام في كل الأمصار ، فإن في الضمائر شعوراً جارفاً إزارة كثرة تحزب عليه، وقلة تحزب له، فئة تظاهر عليه وثلة تظهر معه.

وإن أخطر الناس في سجل التاريخ هو ذلك الذي قبل عليه الدنيا بوجهها فيلوى هو عنها وجهه ، وهو هذا الذي أخلفت إليه المراتب مهرولة فأشاح بوجهه عنها وصدق عن زحرتها لأنه أدرك بصيرته أنها متاع خلوب زائل زائف لا خير فيه وإنما الخير كل الخير هو في طريق الحق وجادة الاستقامة . بهذه السجايا وتلك الخصال السمححة كان الرجل حريراً بأن يخيف أعداءه لأنه لم يخف أحداً من المخلوقين ، ولأنها قاعدة ذاتعة شائعة وهي أن العظيم المغوار إذا حيل بينه وبين مراده فإن الزلازل والبراكين والثورات لا تنفك هادرة وإن جام الغضب لا يتوقف وأن أبواب جهنم لا توصد مصاريعها. منها نكسوا عنه وتنصلوا من نصرته فلن يتحققوا ولا يتتحول عن وجهته التي انتوى خوض الغمار إليها، هذا الطراز النادر فريد ليس على غراره مثيل أو نظير، وكثير من لداته وأتراه ونظائره جذبهم شهوة الملك والسلطان وجرفهم تيار الأماني الخادعة البراقة وركبوا مطايلا المللذات الجموج التي تنزو إلى رغائبهم إلى حيث لا إرادة ولا

سلطان على النزوة القلابة المملوكة لبراثن الشياطين .

* * *

ولا يمكن ولا يجوز الحمل على عالم ثقة بغير حجة راجحة، وهذا الإمام جالس وناظر وناقش علماء عصره واستوضحوا كثيراً ما اعتقاد فانفضوا عنه وهم مقتنعون بما يعتقد ومطمئنين إلى قوته حجته. تأمل ابن كثير في البداية والنهاية من حوادث سنة ٦٩٨ هـ. عندما يحدثنا عن العقيدة الحموية :

«فلما كان يوم الجمعة عمل الشيخ تقى الدين الميعاد على عادته ، وفسر قوله تعالى ﴿إِنَّكَ لَعَلَىٰ خَلْقٍ عَظِيمٍ﴾ ثم اجتمع بالقاضي إمام الدين يوم السبت ، واجتمع عنده جماعة من الفضلاء ، وبحثوا في الحموية ، وناقشوه في أماكن فيها ، فأجاب عنها بما أسكنتهم بعد كلام كثير ، ثم ذهب الشيخ تقى الدين وقد تمهدت الأمور وسكتت الأحوال ، وكان القاضي إمام الدين معتقد حسناً ومقصده صالحًا » اهـ.

ثم يقول بعد ذلك : -

«وجلس الشيخ تقى الدين في ثاني صفر سنة ٧٠٠ هـ. بمجلسه بالجامع وحرض الناس على القتال، وساق لهم الآيات والأحاديث الواردة في ذلك، ونبى عن الإسراع في الفرار ورُغب في إنفاق الأموال في الذب عن المسلمين وبладهم وأموالهم »^(١).

فإن تيمية رجل جهرة الشعب يجد في الدفاع عن الوطن وعن مصلحة الجماعة التي يقيم معها في وطن واحد، بينما نراه يلوى وجهه عن السلطان ومظاهر الترف والترفع عن الناس وهذا نادر الوجود في عالم المثل الإنسانية والقيم الاجتماعية فلا ينزع إلى هذا المقصود الوطني إلا كريم العنصر أريحي الطبيعة طيب الأرومة .

إنه يجند نفسه في صفوف المجاهدين والمنافحين عن عقيدة المسلمين لكنه

(١) البداية والنهاية (١٤/١٤) ط. دار الفكر العربي.

لا يطمع فيها يطمع إليه الناس من شهوات الفانية التي يفتن فيها الناس ويضيع منهم الكثير من أجل نيلها والتعثر في دروبها. ولم يكن هذا الموقف الشجاع المقدم في بلاد الشام فقط إنما جاء إلى الديار المصرية في السابع والعشرين من جمادي الأولى على البريد وأقام بقلعة الجبل بمصر ثمانية أيام يبحث الناس على الجهاد والخروج إلى العدو ، وقد اجتمع بالسلطان والوزير وأعيان الدولة، فأجابوه إلى الخروج^(١).

ولم يكتف الشيخ الإمام بالخطب والباحثات مع أولي الأمر ومع الجماهير في الأماكن العامة فحسب إنما تصدر بنفسه مع العسكر الجموع المجنة للزحف^(٢)، وفي البداية والنهاية يقول ابن كثير: -

« وتوجه الشيخ تقى الدين بن تيمية إلى العسكر الواصل من حة فاجتمع بهم في القطعية، فأعلمهم بما تحالف عليه الأمراء والناس من لقاء العدو، فأجابوا إلى ذلك، وحلقوا معهم ، وكان الشيخ تقى الدين بن تيمية يحلف للأمراء والناس: إنكم في هذه الكرة منصوروون ، فيقول له الأمراء : قل إن شاء الله ، فيقول : إن شاء الله تحقيقاً لا تعليقاً ، وكان يتأنى في ذلك أشياء من كتاب الله منها قوله تعالى: ﴿ثُمَّ بَغَى عَلَيْهِ لِيَنْصُرَنَّهُ اللَّهُ﴾^(٣) .

وقد وصف ابن تيمية التتر بالخارج الذين خرجوا على علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان رضي الله عنها ، وأروا أنهم أحق بالأمر منها.

ثم يضيف ابن كثير في تاريخه المشهور: - « فلما كان يوم السبت دخل الشيخ تقى الدين بن تيمية غزة فعمل في جامعها مجلساً عظيماً ، ثم دخلا مصر يوم الإثنين الثاني والعشرين من رمضان وقيل إنها دخلها يوم الخميس ، فلما

(١) السابق (١٤/١٦) بتصرف وزيادة.

(٢) البداية والنهاية في أحداث سنة ٧٠٢ هـ. راجع (١٤/٢٣) بتصرف وزيادة.

(٣) الحج (٢٢/٦٠) ومعنى قوله تعالى: ﴿ثُمَّ بَغَى عَلَيْهِ﴾ أي بالكلام والإزعاج من وطنه؛ وذلك أن المشركين كذبوا نبيهم وأدوا من آمن به وأخرجوه وأخرجوهم من مكة وظاهروا على إخراجهم، وذلك (لينصرن الله) أي لينصرن الله عمداً بِهِ وأصحابه ، فإن الكفار بغوا عليهم. راجع الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٢/٩٠) ط. دار الكتب.

كان يوم الجمعة بعد الصلاة عقد للشيخ مجلس بالقلعة وأراد أن يتكلم على عادته فلم يتمكن من البحث والكلام وانتدب له الشمس بن عدنان خصاً احتساباً، وادعى عليه عند ابن مخلوف المالكي أنه يقول إن الله فوق العرشحقيقة، وأن الله يتكلم بصوت وحرف، فسأله القاضي جوابه فأخذ الشيخ في حمد الله والثناء عليه، فقال له: أجب ما جئنا بك لتخطب، فقال: ومن الحاكم في؟ فقيل له القاضي المالكي. فقال له الشيخ: كيف تحكم في وأنت خصمي، فغضب غضباً شديداً وانزعج وأقيم مرسمأً عليه، وحبس في برج أيام ثم نقل منه ليلة العيد إلى الحبس المعروف بالجبل هو وأخوه شرف الدين عبد الله وزين الدين عبد الرحمن^(١).

ثم استهلت سنة ٧٠٦ هـ. والشيخ تقى الدين بن تيمية مسجون بالجبل من قلعة الجبل (٤٠ / ١٤).

ومثل هذه الحياة التي لا يطيقها ولا يصبر عليها رجل عادي من العامة أو الخاصة فكيف تملها وكيف يتجمشها ابن تيمية مستمرثاً صعابها ومشقاتها، بل يجد في ذلك لذة كبرى لا تعد لها لذة ومتنة لا ترقى إليها متعة وشرف لا يتوقى^(٢) إليه مخلوق بعد رسول الله ﷺ وصحابته الأبرار الصالحين.

كان هذا الشيخ الصبور المحتسب مجاهداً من الطراز الأول يزج من محنـة إلى محنـة ، وما تكاد تنجلـي كربـة حتى تبدأ أخرى أشد منها عنـفاً وأعنـف منها وعورـة.

وثمة حديث سيار على السنة الحكماء القدماء، وهو أن أخطر الرجال في التاريخ رجل يعيش من أجل فكرة، وهذا أمر تؤيده التجارب ويعوضه الواقع وتشهد له الأيام .

وهنـاك مثل صينـي سيـار يقول: «اهـدم بيـوتـنا واسـلب مـتـلكـاتـنا واـذـبح أـطـفالـنا وـلا تـغـير مـعـقـدـاتـنا» .

(١) راجع تاريخ ابن كثير (٣٨ / ١٤) بتصرف.

(٢) يتوقـل إلـيه: يرقـى ويصلـى إلـى درـجة الرـفـيعة.

ومن العسير المتعذر على رجل المبادئ الحر الشريف أن يتحول عن عقیدته التي آمن بها ووهبها كل حبة في كيانه وكل جارحة في وجده.

في ليلة عيد الفطر أحضر الأمير سيف الدين أرسلان نائب مصر القضاة الثلاثة وجماعة من الفقهاء، فالقضاة الشافعى والمالكى والحنفى، والفقهاء الباجي والجزري والنمراوى، وتتكلموا في إخراج الشيخ تقي الدين بن تيمية من الحبس .

فاشترط عليه بعض الحاضرين شروطاً بذلك منها أن يلتزم بالرجوع عن بعض العقيدة ، وأرسلوا إليه ليحضر، وليتكلموا معه في ذلك، فماذا يكون رده يا ترى !!؟؟

إن أي إنسان يقبل التهاون في بعض المسائل لقاء الحرية وهي أغلى وأثمن وأنفس ما في الوجود ، ولا يعرف قدر الحرية إلا من كابد وعاني السجن وغيابه وظلمة وحده .

لقد امتنع ابن تيمية رضي الله عنه عن الحضور ، وصمم على الامتناع وتكررت الرسل إليه ست مرات فصمم على عدم الحضور ولم يلتفت إليهم ولم يعدهم شيئاً ، فطال عليهم المجلس ، فتفرقوا غير مأجورين .

لا جرم أن مثل هذا الموقف المتشدد من جانب الشيخ تقي الدين كان له أشد الأثر في نفوس أعدائه من خصومه وشانئيه الذين أصواهم السخط وأصناهم الوجد ، وملا صدورهم الوعر واحتوتهم السخيمة وغلقتهم الحزارة وأحرزم غيظهم صلابته في الحق ورسوخه في المحن رسوخ العلم المفرد.

وفي يوم الجمعة رابع عشر صفر الخير سنة ٧٠٧ هـ . اجتمع قاضي القضاة بدر الدين بن جماعة بالشيخ تقي الدين بن تيمية في دار الأوحدى من قلعة الأوحدى من قلعة الجبل ، وطال بينها الكلام ثم تفرقوا قبل الصلاة ، والشيخ تقي الدين مصمم على عدم الخروج من السجن ، فلما كان يوم الجمعة الثالث والعشرين من ربيع الأول جاء الأمير حسام الدين مهنا ابن عيسى ملك

العرب إلى السجن بنفسه وأقسم على الشيخ تقي الدين ليخرجن إليه»^(١).

إنه كبراء العظمة ، وعظمة الكبراء والفرق بين كبراء العباءة والعظمة عند أولى الفضل وبين كبراء الدهماء^(٢) والرداع أن الأولى ترفع بالذات عن الدنيا، وإظهار كرامة النفس على ذاتها بإهدار الدنيا والصلابة في الحق وعدم الخوف والتردد والخنوع^(٣) أما اعتتاب علية القوم تزلفا من ذواتهم وفي هذا يقول الشاعر الحصيف اللبيب المجرب :

ولو أَنَّ أَهْلَ الْعِلْمِ صَانُوهُ صَانِيهِمْ وَلَوْ عَظَمُوهُ فِي النُّفُوسِ لَعَظَمَا

وليت علماءنا ورجال الفهم والفضل يدركون أنهم أرقى وأعظم طراز في معدن البشر فيجب أن يربأوا بأنفسهم أن يتضاغروا أمام الشهوات الدنيوية من السلطان والمال والتقرب من أولي الأمر بشتى أنواع القربات حتى لو كان ذلك مقابل التهاون في بعض المسائل الشرعية التي تقضي منهم التوفر على حفظ حدود الله فيها وصونها من عبث المتفعين من ثغراتها بما لم يرض عنه شرع الله وحدوده. وثمة مثل قديم رائع يقول: إن أعظم العلماء هم الذين لا يلتجأون للسلطان، وأعظم السلاطين هم الذين يلجئون للعلماء.

فالعالِمُ عندما يلوذ بالسلطان ويوضع الدنيا نصب عينيه إنما يكون قد أُزْرِى بعلمه لأن في هذا انتقاداً لشأنه ووتاحة لدرجته . إنما السلطان الذي يختلف للعلماء إنما يكون قد حصن ملكه بالعلم وهو سلطان الحق سبحانه وتعالى منوط به كل سداد وسُؤدد فمن عَوْلَ على العلم والعلماء تجنب كثيراً من الوبيلات ، وكان بنجوة من المخاطر التي تعرض في معرتك الأيام ولا ينفع فيها الرأي

(١) تاريخ ابن كثير (٤٥/١٤).

(٢) دهماء الناس: سوادهم.

(٣) الخنوع: الخضوع والذل.

الواحد. من ثم أكد الإسلام مبدأ الشورى، فالقرآن الكريم يخاطب رسول الله ﷺ : « وشاورهم في الأمر » لأن كثيراً من الأمور لا يستغني عن رأي الجماعة وجماعتها .



هـذـه الـأـمـةـ فـي هـذـا الرـجـلـ

هذه الأمور في هذا الرجل

ما لا مرأء فيه أن هذه الشخصية التاريخية الفذة قد جمعت كل صفات الشجاعة والمروءة والنجدة والقومية ، فتجمعت فيها مناقب شتى كل منقبة منها تعد سجلاً من سجلات الأبطال الكثمة.

والشيخ تقى الدين أحد بن تيمية يعتبر أمة في رجل ومن كان مثله أو في معدنه أو طرائه خلائق به أن يكون في مقدمة الغزاة الفاحفين الذين يناظر بهم كل حدث جلل وكل أمر عسير . وما يؤكّد عظمة التكريم فيه أن صفاته التي تحلى بها جيّعاً فطريّة وليس مكتسبة ، إذ أنه مطبوع عليها مفطور على سجاياها مجبول على عناصرها ، وهذا سر قوته وسر ثباته وسعة أفقه وحصافة فكره وجودة رأيه وعمق فتاوّيه .

والصفات المكتسبة في العنصر البشري تترافق في بعض مواطن الاقتضاء وقد تتشدد في غير ما مقتضى لذلك وقد يجانبها التوفيق والسداد في كثير من الأمور ، ولكن نقىض ذلك هو المتعارف عليه في الواقع التجربى من الغرائز المفطور عليها الإنسان .

ومثالنا على ذلك الذكاء الفطري والذكاء المكتسب ، فإن رجال التربية وعلم النفس وعلماء السلوك قد أثبتوا بعد التجربة والمشاهدة والتمحيص أن

الشخصيات التي غيرت مجريات التاريخ كان ذكاؤها فطرياً، أي غرزياً طبعت عليه.

وقد أوضحت مدرسة (لا مبروزو) أمارات الذكاء الفطري بأن الماء يكون طويلاً باثن الطول أو قصيراً باثن القصر، يعمل بيده السرى أو بكلتا يديه ، مرهف الحس ، شديد الحساسية للأمور غزير الشعر أو نزيره ، قليلة ساعات نومه مولع بالاستقراء ومنهم بمعرفة ما لا يعرف.

وإذا تفرسنا وتحصلنا شخصية الإمام تقى الدين بن تيمية نجده - بمقاييس علم النفس - رجلاً فطرياً الذكاء ، قوي الملاحظة سريع البداهة دافع الحجة لا يخور ولا يلين ولا يجزع في تكوينه من أمارات العظمة ما يجعله بحق قدوة مثالية يؤتى بها .

وقد نشأ ابن تيمية في أسرة علم وفضل فقد كان أبوه عالماً من كبار العلماء فلا غرو أن يكون لهذه النشأة أثرٌ أيُّ أثرٍ في هذه القوة العلمية الدافقة التي حركت الدعوة الإسلامية إلى أعظم المواقف وهي حرية بكل فضل وفضيلة .

عقيدة ابن تيمية

عقّيدة ابن تيمية

عقيدة ابن تيمية هي العقيدة السلفية والمنج المتصل بها والذي يفضي إليها هو المنج السلفي مصطلحاً ومفهوماً^(١).

وقد اتفق علماء اللغة على أن السلف والسلفية بمعنى الماضي والتقدم، وفي معجم مقاييس اللغة لابن فارس بمعنى الماضي والتقدم والسابق، وقد قال تعالى في كتابه العزيز ﴿فجعلنا لهم سلفاً ومثلاً للآخرين﴾^(٢) وفي أنساب السمعاني، السلفي بمعنى نسبة إلى السلف ، وانتحال مذهبهم على ما سمعته منهم حتى عرفت به جماعة عند ابن الأثير.

كذلك سمي الصدر الأول من التابعين ، السلف الصالح .

والسلفية كما قال ابن منظور في معجمه الشهير لسان العرب : - « هم الجماعة المتقدمون »^{ا.هـ}.

وكلمة السلفية والسلف مصطلحان شرعاً ، وكلمة السلف في الشرع مقصود بها اسم لكل من يقلد مذهب في الدين ويتبع أثره .

(١) راجع عقيدة ابن تيمية الخبلي تأليف محمد أحد الهاشمي تحقيق ودراسة محمد فرجية ص ٤١ . دار الحكمة دمشق .

(٢) الزخرف (٤٣/٥٦) قال مجاهد: سلفاً لکفار قريش يتقدمونهم إلى النار، وعظة وعبرة لمن يأتي بعدهم. الجامع لأحكام القرآن (١٦/١٠٢) ط. دار الكتب. بتصرف.

والسلفية هم عند التهانوية الإخبارية أو فرقة من الإمامية . كذلك قيل أنهم الذين يعتقدون أن الصفات ما أراد الله بها حق بلا شبهة كما عليه السلف^(١) .

ومن خصائص العقيدة السلفية الفهم والتقدير والأصالة ، وقد حاولت التيارات الإلحادية والأنواع الماحلة تكدير صفو السلفية ومحاولة قلب قاربها في خضم الحرب الباردة ياذاعة أن هذه السلفية رجعية جامدة تحجر على الفكر الإسلامي وتعارض تجديده ، وهم بذلك مرجفون مخطئون في صدورهم وغرس وحسيبة وسخيمة أخذوها عن الفكر الغربي الماحل ، وروجته في نفوسهم تلك الفلسفة اللعينة المسماة بالميافيزيقا وهي أحضر أعداء الإسلام تربصاً به ونبيلاً منه وإحاطة بحضارته .

وقد تهشم كل أوهام هؤلاء الأوغاد على صخرة الواقع الذي آلمهم وهو أن يخرج بين الفينة والفينية من يجدد هذه الأمة الإسلامية أمر دينها ويربط واقعها وكيانها بمنهج السلف الصالح رضي الله عنهم ورضوا عنه .

وقد ورد في الحديث: - « لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها » .

وما صلح أول هذه الأمة إلا بالتمسك بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ وعلى آله وصحبه والتابعين وتابعيمهم بفضل وإحسان إلى يوم الدين ، ورضي الله عنهم ورضوا عنه .

ويمثل العبارة فإن السلفية تقوم على دعامتين هما الكتاب والسنة ، ومن تمسكون بها من الصحابة والتابعين وتابعيمهم بفضل وإحسان إلى يوم الدين . من ثم فالسلفي يعزو كل أحكامه الشرعية إلى الكتاب والسنة ، فلا يعطى نصاً ولا يؤثر نصاً لا يقتضي التأويل ولا يقول بالظاهر والباطن ولا بالشريعة والحقيقة

(١) ننتهي من ذلك إلى أن السلفية تعني التقدم والسبق ، ومن ذلك نخلص إلى أن السلفي هو الذي يرجع في الأحكام الشرعية إلى الكتاب والسنة .

كما يقول المتأولون من الباطنية وغيرهم من الفرق الضالة التي خرجت عن نهج الجماعة.

فالسلفية اتجاه فكري يمثل الإيمان الخالص النقي بعيداً عن التحريف. ومن مثلوا الإتجاه السلفي في العقيدة أبو موسى الأشعري صاحب مذهب الأشعرية المعروف، ويرى ابن تيمية أن الأشعري كان أقرب إلى قول الإمام أحمد، ومن كان قبله من أئمة السنة كان عندهم أعظم من أتباعه، والباقلاني كان أقربهم إلى ذلك^(١).

ثم قال ابن تيمية رحمة الله عن الأشعري لما رجع عن مذهب المعتزلة: «سلك طريق أهل السنة والحديث، وانتسب للإمام أحمد^(٢). وقد نهج المعتزلة - في بحث العقيدة الإسلامية - نهجاً فلسفياً صرفاً أخذوه من منطق اليونان، وهو المنطق الجدلية الذي يبدو وكالمناظرات وقد جرى على هذا المنهج الأشاعرة^(٣) والماتريدية^(٤).

وقد اجتمعت مناهج العلماء في فهم العقيدة الإسلامية في أربعة طرائق :
القسم الأول وهم الفلاسفة ويقولون أن القرآن جاء بالأسلوب الخطابي ،
والمقالات المنطقية للإقناع ، ويررون أن طريق البرهان واليقين هو سبيل العقيدة .

القسم الثاني هم متكلمو المعتزلة الذين يقدمون قضايا العقل على النظر في آيات القرآن الكريم ، فالنظر العقلي مقدم عندهم على الدليل القرآني ،

(١) راجع نقض المنطق ص ١٦ لابن تيمية.

(٢) كما ورد في كتاب الإبانة ومقالات إسلاميين .

(٣) الأشاعرة: وهم أتباع أبي موسى الأشعري المتوفي سنة ٤٤ هـ. وهو الذي استعمله رسول الله ﷺ على عدن، وولاه عمر بن الخطاب البصرة سنة ١٧ هـ. فافتتح أصحابه وأهواز . راجع الطبقات الكبرى (٧٩/٤).

(٤) والماتريدية يبدو أن منهجها الاستدلالي فاسد باطل لأنهم يرون أن دلائل القرآن غير قابلة وهذا خطأ فادح في الفهم .

وتؤولهم بجري على مقتضى العقل ، وكثيراً ما يخرجون عن عقائد القرآن ، وهم يأخذون بال نوعية من الإستدلال .

القسم الثالث : الماتريدية : وهم ينظرون في آيات القرآن التي بها عقائد لخاطبة العقل فيؤمدون بها وما في العقل من أدلة عليها ، على أنها آيات إخبارية يجب الإيمان بها وبما اشتملت عليه وليس مقام جزم ويقين وحق .

القسم الرابع : الأشاعرة وهم مؤمنون بالقرآن - عقائده وأدله - لكنهم يستعينون بأدلة العقل إلى جانب الأدلة القرآنية .

وقد تعرض ابن تيمية رضي الله عنه لهذه المناهج الأربع وفندوها وبحثها بحثاً علمياً رائعاً غير مسبوق فيه .

وقد أطأط اللثام شيخنا الجليل عن عورات هذه الفرق وغيرها من الفرق التي أولت أو عطلت النصوص عن جهالة وقصور .

فهو ينقد أولئك الذين قدموا الدراسات العقلية على الأدلة القرآنية ، ثم قال ابن تيمية رحمه الله : إنهم جعلوا الحاكم الشرع حكاماً (للعقل) فجعلوا من النبوة الحاكمة الهدية للعقل مكتوماً بها خاضعة لها .

* * *

ثم يتصدى للمناطقة ويرد عليهم ويأخذ على ثمتهم أنهم أهملوا الأدلة القرآنية ، وتفضيلهم المنطق عليها .

والمنطق هو شر البلاء المستطير فإنه مدخل الفلسفة والفلسفة هي أخطر أعداء العقيدة الإسلامية .

ثم يقول ابن تيمية رحمه الله في الفلسفة ومصطلحاتها : «إن هذا من المكرات المستبشعـة، والرقاعـات المستحدثـة ، وليس بالأحكـام الشرعـية افتقارـاً إلى المنطقـ أصلـاً، وما يزعمـه المنطقـي بالمنطقـ من أمرـ الحـدـ والبرـهـانـ فـقاـقـعـ أغـنىـ اللهـ عنـهاـ كلـ صـحـيـحـ الـذـهـنـ، ولـقـدـ تـمـ الشـرـيعـةـ وـعـلـومـهاـ وـخـاصـةـ فيـ بـحـرـ الحـقـائقـ

والدقائق حيث لا منطق ولا فلسفة » أ. ه.

* * *

وقد رد ابن تيمية على الأشاعرة مفنداً أغلاطهم في استدلالهم بالأدلة العقلية إلى جانب الأدلة القرآنية ، ثم يفرق بين الأشعري والأشاعرة فيقول : إن الأشعري كان أقرب إلى قول الإمام أحمد ، ومن قبله من أئمة السنة كان عندهم أعظم من أتباعه» .

ثم يقول عن الأشعري أنه لما رجع عن مذهب المعتزلة ، سلك طريق أهل السنة وال الحديث .

أما الماتيريدية فهم يعتمدون على العقل باستهداء الشرع ، وفي إطار من هدى التشريع ولا يعتمدون على النقل المحسن ، وهم في هذا يخالفون الفقهاء والمحدثين .

وبعد أن ناقش ابن تيمية هذه المذاهب أثبتت أن منهج السلف ليس واحداً من أي منها ، بل غيرها جيغاً ، فالعقائد لا تؤخذ إلا من النصوص وكذا أدلةها ، فالسلفيون يؤمنون بالنصوص ، ولا يعلّون على العقل في مجال العقائد لأن العقل يضل ، ثم يقرر الإمام ابن تيمية أن هذه المناهج دخيلة على الإسلام وعلى المسلمين .

فعقيدة ابن تيمية لذلك عقيدة سلفية محضة قوامها التوحيد الخالص المبرء من شبهات الشرك بأنواع ما كان صريحاً بواحاً وما كان خفياً مستتراً ، كذلك انتهي سبيل المؤمنين من السلف الصالح ، متمسكاً بالكتاب والسنة والإجماع وهي عقيدة الفرقة الناجية .

وعقيدة ابن تيمية مبسطة في العقيدة الاصفهانية والواسطية والحموية .

(١) راجع معراج الوصول لابن تيمية (ص ١٠ - ١٢).

من هجَّ ابْنَ تَبِيَّةَ رَحْمَةُ اللهِ

منهاجه

نوجز هنا منهاج ابن تيمية السلفي بعد هذه الرحلة في عقيدته وفكرة وعلمه : أولاً : عدم الثقة المطلقة بالعقل في مقدمات الحكم على العقائد والأحكام من حيث سلامتها من عدمه وخصوصاً في التشابهات من الأمور^(١).

وفي القرآن الكريم والسنّة النبوية المطهرة الأدلة والبراهين المبنية لأصول الدين ، والعقل ليس بمستقيم الادراك في الوصول منفرداً إلى أصول الدين وحقائقه، بل لا بد من النقل أن يواافق العقل، ويكون العقل تبعاً للنقل لا متبوعاً كالمتكلمين ، ومحكوماً بالقرآن ومقدماته في الاستدلال، لا حاكماً على القرآن ومنهجه كالمعتزلة ثانياً: عدم اتباع أي من الرجال إلا على دليل من الكتاب أو السنّة أو آثار السلف الصالح ، ولا يغنى عن هذا أن يكون المتبع ذات شأن وشهرة وصيت وعلم ، فيما من قول يتلقى تلقياً ويسوغ فيه الاتباع من غير دليل .

ثالثاً: الشريعة أصلها القرآن وقد فسره سيدنا رسول الله ﷺ بالسنّة وتلقى ذلك صحابته رضي الله عنهم ورضوا عنه وحفظوه وفهموه وتلقوا كما سمعوه ولقنوه التابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين ، وابن تيمية يرجع إلى رسول

(١) راجع عقيدة ابن تيمية الخليل ص ٧٠ بتصرف وزيادة.

الله ﷺ ولا يتبع أحداً بعده إلّا الصحابة رضوان الله عليهم ، ويحتاج أحياناً بأقوال التابعين في مناظراته مع علماء عصره وفقهائه ، فكان يدعوهم إلى الإحتكام إلى أهل القرون الثلاثة الأولى.

رابعاً: عدم التعصب والجمود على التفكير الشخصي ، بل خلع عن ذاته كل ما يقيده في فكره إلّا الكتاب والسنّة والإجماع وأثار السلف الصالح .

ولقد تعمق ابن تيمية في دراسته للمذاهب الإسلامية كلها والفرق المختلفة والأراء المتباعدة ، وعرف تاريخ كل فرقة ومنهاج كل نحلة وعقيدة كل طائفة ، ثم خالف المذاهب الأربعة متحزباً لدینه وسنة رسول الله ﷺ ، واعتذر عنهم إذا جاءت أقوالهم مخالفة للسنّة الصحيحة بأعذار قوية ترفع الملام عنهم ويدعو إلى توقيرهم وتقديرهم^(١).

من ثم ننبه إلى أن قواعد المنهج السلفي الذي انتهجه ابن تيمية له أطنان ثالثة تشد أزره وتقويه :

الأول : تقديم الشرع على العقل باتباع السلف الصالح رضوان الله عليهم .

الثاني : في رفض التأويل الكلامي والمنهج الجدلـي المنطقي والفلسفـي .

الثالث : الاستدلال بالقرآن الكريم .

* * *

هذا هو شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله ، وهذه هي مناظراته وهذه هي مجالسه في الذب عن عقيدة التوحيد والمناقشة عن المنهج السلفي رحلة شاقة كلها مواجهات ولواعات وأسى لأنها تهدم ما ترسـب في النفوس من أنقاض متداعية من الخرافـات والخزعـبيـات من المتأولـين والمتكلـمين والصـوفـية وغـيرـهم .

هذه الرحلة الشاقة المضنية غـوـجـ رـائـعـ لـلـبـذـلـ وـالـعـطـاءـ رـغـبـةـ فـيـاـ عـنـدـ اللهـ

(١) راجع كتاب (رفع الملام عن الأئمة الأعلام) لابن تيمية.

وعزوفاً عن الدنيا وزواتها.

اللهم نسألك أن ترحم شيخ الإسلام وال المسلمين ابن تيمية لقاء ما أعطى
وبذل وجَّه واجتهد وصاحب في الله وعادي في الله وجاحد في سبيل الله .

اللهم أجمعنا به والصالحين في دار الكرامة . سبحان ربك رب العزة عما
يصفون وسلام على المسلمين والحمد لله رب العالمين .

هذا الرجل وهذه الأقران

ولد ابن تيمية في العاشر من ربيع الأول سنة ٦٦١، ويدرك بعض العلماء أن مولده كان في الثاني عشر من ربيع الأول ، ولعل أولئك يريدون أن يثبتوا أن مولده كان موافقاً لمولد الرسول تيمناً بأنه سيخي سنته ، ويدعم بالحجج شريعته ، ويدافع عنها إلى أن يموت في محبسه^(١) .

ويلقب الإمام ابن تيمية بالحراني نسبة إلى حران ، إلا أن صاحب القاموس يقول : «أن النسبة إلى حران هي حرناني وهي نسبة سماوية ، وينطليء من يقول حراني ، وهي للنسبة القياسية» أ.ه.

وقد لفت الأنظار إلى أنه ليس بعربي الأصل نسبته إلى البلد دون القبيلة لأن العرب تنتسب عادة إلى القبيلة، ولكن هذا لا يقبح في كرامة الرجل ولا يقلل من شأنه وعلمه بحال .

وفقد ابن تيمية رحمه الله أبوه وهو في شرج شبابه - في الحادية والعشرين - إذ مات أبوه سنة ٦٨٢ هـ . إلا أن أمه عاشت بعد ذلك وكانت بقبليها

(١) راجع كتاب (أسبوع الفقه الإسلامي ومهرجان الإمام ابن تيمية) الصادر عن المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية بالقاهرة ، وهو يحتوي على مجموعة أعمال مقدر أسبوع الفقه الإسلامي ومهرجان الإمام ابن تيمية المنعقد بدمشق في المدة من ٢١ - ١٦ من شوال سنة ١٣٨٠ هـ الموافقة ٦ - ١٤ من نيسان (أبريل) سنة ١٩٦١م . ص ٦٥٩ ، ٦٦٠ .

ومشارعها وعواطفها وحدها على ابنتها وراءه بالدعوات ، وقد كان يبعث إليها بالرسائل من سجنه ليطمئنها على حاله . وقد كان ابن تيمية باراً بأمه عطوفاً عليها محسناً إليها إذ كان يعاني من مواجهات ولواعات الفراق وأهوال السجن لكنه يخفى كل هذا عن أمه حتى يخفف عنها لوعتها وشجونها .

وكان من أهم خصال ومناقب ابن تيمية رحمه الله^(١) ، الجد والمثابرة ، ورقة الإحساس ويقظة الشعور ، وفتح العقل واتساع الأفق ، وحضور البديهة وقوة الذاكرة ، وحدة الذهن ، واستقامة التفكير ، وحسن الذاكرة التي تدل على ذكاء فطري حاد .

ووجود هذه الهبات والمنح الإلهية في تركيبه وتكونيه وانسجام ملائكته يسرّ له سرعة الفهم والاستيعاب ، فكان له حظ عظيم ونصيب وافر من العمق الثقافي والعلمي والفكري ، لا سيما وأنه نشأ في بيئه خصبية من العلم والدين ، فإن أباءه كان عالماً تلقى عليه علم الحديث ، وعلى كثير من كبار المشايخ ، ثم حفظ مستند الإمام أحمد بن حنبل ، إمام أهل السنة ، وقد اتجه إلى فقهه بكل جوارحه وجعل دراسته هي كل همه ، وقد كان المذهب الحنفي هو مذهب أسرته من قديم ، فلا غرو أن توفر على كل علوم هذا المذهب بكل دقائقها وخفياتها .

وكان اهتمام ابن تيمية بالصحيحين واضحًا حيث فاق كل اهتمام ، فكان كثيراً ما يجتهد في بحث أحاديثهما في مناظراته وفتواه .

وقد ابتلى المشرق العربي بغارات أجلال التار ، حيث اجتاحتوا اليابس والأخضر ، وولغوا في دماء المسلمين ، واستولوا على المداين الإسلامية يعيشون فيها فساداً ، حتى سقطت حاضرة الخلافة الإسلامية في أيديهم ، ففرّ العلماء بعلمهم إلى دمشق ، وكثير منهم ألقى عصاه فيها واستقر به المقام واستمراً فيها العيش .

وانتهى التطاويف بابن تيمية وأسرته في دمشق ، وكانت قد جمعت طوائف شتى وفرقًا متباعدة من المذاهب الدينية ، وكان مع أهل الفقه ورجال الحديث ،

(١) راجع ترجمة ابن تيمية في فوات الوفيات (٤٥/١ - ٣٥/١) والدرر الكاملة (١/٤٤) والنجوم الزاهرة (٩/٢٧١) وتهذيب ابن عساكر (٢/٢٨) ودائرة المعارف الإسلامية (١/١٠٩).

طائفة من الأشاعرة^(١)، وهم أصحاب مذهب أبي الحسن الأشعري، وهو يتبع مذهب أهل السنة، لكنه يسير في اثبات العقائد في مسار المنطق والفلسفة، فهو يتفق مع أهل السنة في النتائج، لكن يسلك في اثباتها غير سبيل الخانبلة.

من ثم زادت المزاواة بين ابن تيمية، وبين أتباع أبي الحسن الأشعري وقد تصدى لهم بقوة وعنف متجرشاً في ذلك كل ما يطيق وما لا يطيق وهو يعلم أنه ليس بنجوة من مكائدتهم ومؤامراتهم في النيل منه. وقد كان ابن تيمية رحمة الله حصناً بالحجج القوية وعمق الفهم والدراسة كما أعاذه على ذلك تعمقه في دراسة اللغة العربية ونحوها وصرفها وبلاغتها إلى جانب إحياطه بالتفسير والحديث والفقه، وقد نقل المؤرخون أن حلقاته كانت تضم كثيراً من الناس منهم المواقف له، والمحرض عليه، السني والبدعي، الشيعي وغيره من أتباع المذاهب الأخرى، وقد تجمعوا حول حلقاته لينهلوا من معين علمه الغزير السخي الذي لا ينضب، في إطار شخصية قوية مؤثرة.

وقد وصفه المحدث الكبير ابن دقيق العيد بقوله: «رأيت رجلاً جمع الله العلوم كلها بين عينيه يأخذ منها ما يريد، ويدع ما لا يريد» ١.هـ.

وقد وصفه الذهبي رضي الله عنه وهو من معاصريه بقوله: -

«كان أبيض، أسود الرأس واللحية، شعره إلى شحمة أذنيه، كأن عينيه لسانان ناطقان، ربعة من الرجال، بعيد ما بين المنكبين، جهوري الصوت، فصيحاً، سريع القراءة، تعترى به حدة، لكن يقهرها بالحلم» ١.هـ.

* * *

ولولا الحلة التي كانت تعترى به، لكان كلمة إجماع، ولكن هذه الحلة جعلت حوله معارضة قوية وجبهة عنيفة، وذلك لأنه جاء الناس بما لم يكن شائعاً ذائعاً عندهم فكان ذلك سبباً في عنف قوتهم، ورميه بالكفر والإلحاد في الدين.

(١) راجع الفرق بين الفرق للبغدادي بتحقيق محمد محبي الدين عبد الحميد ط. دار المعرفة ص ٢٤، ص ١١٤ والملل والنحل للشهرستاني ط. الحلبي بمصر (٩٤/١) وما تلاها بتصرف.

وهاجم في دروسه الطرق الصوفية التي كانت شائعة في عصره ، لا سيما القائلون بالحلول والوحدة والاتحاد كابن عربي وغيره ، وقد أكبه القائد الحربي الشجاع الذي تصدى للتتار ناصر الدين بن قلاوون^(١).

وقد كان ابن تيمية مستشاراً لناصر الدين بن قلاوون حيث كان يستشيره في الأمور الدينية ، فقد أشار عليه بتعيين الشيخ كمال الدين الشريسي^(٢) في مشيخة دار الحديث الكاملية بعد تعيين الدين بن دقيق العيد^(٣)، كذلك فلم يعن خطيب أو واعظ أو إمام أو ناظر مدرسة إلاً برأيه ، وذلك تقديرًا له ولشخصيته .

ولكن حفيظة^(٤) العلماء والفقهاء لم تتوقف في الكيد لابن تيمية للنيل منه فدأبوا على التأليب^(٥) عليه ، وهو شأن المغدورية المكبودين ، وهو شأن كل مجاهر بالخصوصة والعداوة ، وكل صلب في الحق ، من ينافحون عن الحقيقة ويدلُّون عن الواقع غير مداهنين^(٦) أو منافقين .

ولم تستمر قوة السلطان على حالها الأول ، فالسلطان الناصر محمد قلاوون بدأ سلطانه يضعف بعد حين وهو الحميم المخلص لابن تيمية وهذا شأن معاعول الزمن الهاشمة التي لا يبقى إزاءها بناء على حال ، ويعقدار ضعفه الأمير وأفول نجمه^(٧) كان أثر القول والطعن في ابن تيمية يزداد حدة وقوة ، وهذا أمر

(١) هو الملك الناصر محمد بن عبد الله الصالحي أبو الفتح ولد سنة ٦٨٤ هـ وكانت طفولته الأولى بدمشق ، وولى سلطنة مصر والشام سنة ٦٩٣ هـ وهو صبي ، وخلع منها لخدانة سنة ٦٩٤ ثم أعيد للسلطة بمصر سنة ٦٩٨ فقام في القلعة كالمحجور عليه ، والأعمال في يد الاستادار الأمير بيبرس الجاشنكير ، ونائب السلطنة الأمير سلار واستمر بها نحوًا من عشرين عام ، وتوفي سنة ٧٤١ هـ بالقاهرة . راجع ابن الوردي (٢/٣٤٠) وفوات الوفيات (٢/٢٦٣) والدرر الكامنة (٤/١٤٤) والنجمون الراهن (٨/٤١).

(٢) الشيخ كمال الدين الشريسي كان من علماء الحديث المشهورين في عصره .

(٣) ابن دقيق العيد : هو موسى بن علي بن وهب بن مطیع القشیري ، سراج الدين ابن دقيق العيد ، فقيه شاعر انتهى إليه رئاسة الفتوى في صعيد مصر ، ولد وتوفي بمصر سنة ٦٨٥ هـ . راجع الطالع السعيد (٨/٣٨٠) والإعلام للزرکلی (٨/٢٧٧).

(٤) حفيظة القوم : حسدهم .

(٥) التأليب عليه : التحرير عليه .

(٦) مداهنين : من المداهنة وهي المداراة .

(٧) يقال أهل نجمه أقولاً : إذا خبا مجده ودلت دولته .

طبيعي . عقدت له المجالس والمناظرات مع العلماء والفقهاء من طعن فيهم وفي عقيدتهم من نادوا بسقوط التكليف ومن رفعوا أنفسهم إلى مقامات الصالحين .

وكان مقصودهم من هذه المناظرات وهذه المجالس تصديع ذلك البناء المتساکن القوي للبنات وإيقاف مسيرته ، لكنه بعلمه وغزاره مادته كان أقوى من ظنونهم الفاسدة ، فما سئل في مسألة أو قضية أو فتوى إلا أجاب إجابة المتمكن الواثق المصطلط بالدقائق من فروع وأصول ، وكان لسرعة بديهته وحضور حافظته وقوة حجته مما جعل الكثير يتحاشون مجالسه ومواجهته مقهورين مکابرین .

ولم يلبث السلطان الناصر قلاوون أن انقلب على ابن تيمية بعد أن كان نصيراً له أصبح نصيراً عليه ، فلماذا تغير هذا التغير؟! لعلنا إذ نرجع إلى كتب التاريخ نلتمس فيها سبباً لهذه الجفوة وهذا التغيير المفاجئ .

تأمل قول المقرizi : - « إن الناصر ركب كعادته للصيد ، وبينما هو في طريقه إذ انتابه ألم شديد ، كاد يقضي عليه ، فنزل عن فرسه ، لكن الألم تزايد عليه ، فنذر إن عفاه الله أن يبني في هذا الموضع مكاناً يتعبد فيه الناس ، ولما عاد إلى قلعة الجبل ، وقد شفاء الله من مرضه سار بنفسه إلى الموضع الذي انتابه فيه المرض ، وصحبه جماعة من المهندسين ، واختط هذه الخانقاه - خانقاه سوريا قوس - في سنة ٧٢٣ هـ وجعل فيها مائة خلوة لمائة صوفي ، وبنى بجانبها مسجداً تقام فيه الجمعة ، وبنى حماماً ومطبخاً^(١) وتم ذلك في سنة ٧٢٥ هـ .

ولعلنا نذكر أن أول محنة نزلت بابن تيمية كانت سنة ٧٢٦ هـ ، ندرك ونعرف من أين جاء التأثير ، فلقد صار من ذلك الوقت الناصر بن قلاوون صديقاً حمياً للصوفية ، وهم أعداء ابن تيمية الألداء ، من ثم فقد شدد النكير عليه شيخهم وإمامهم ابن عطاء الله السكندرى رحمه الله .

(١) راجع أسبوع الفقه الإسلامي ومهرجان ابن تيمية المطبع بالقاهرة طبع المجلس الأعلى لرعاية الشؤون والأداب والعلوم الاجتماعية سنة ١٩٦٣ م . ص ٦٩٠ ، ص ٦٩١ بتصرف .

وقد عان ابن تيمية بعد ذلك من غياب السجن ومحنته، فقد شدد الناصر الخناف علىه ولم يزل كذلك حتى عوجل إلى رحمة ربه سجينًا في سبيل ذبه عن العقيدة وحماسته في الحق.

* * *

وقد بلغ ابن تيمية شاؤاً بعيداً في الحلم وكرم الأخلاق - رغمًا عما فطر عليه من حدة المزاج - فقد وصفه الإمام الذهبي المؤرخ وصف محملًا يبرز حيالنا صورته الصارمة الوقورة بدقة وجلاء فيقول : -

« ومن خالطه وعرفه ينسبني إلى التقصير فيه ، ومن خالفه ونابذه قد ينسبني إلى التغافل فيه ، وقد أذيت من الفريقيين من أصحابه وأصداده ، وأنا لا اعتقاد فيه عصمة ، بل أنا مخالف له في مسائل أصلية وفرعية ، فإنه كان مع سعة علمه وفروط شجاعته ، وسيلان ذهنه ، وتعظيمه لحرمات الدين - بشراً من البشر ، تعترى به حدة في البحث وغضب وصدمه للخصوم تزرع له عداوة في النفوس ، ولو لا ذلك لكان كلمة إجماع ، فإن كبارهم خاضعون لعلومه ، معترفون بأنه بحر لا ساحل له ، وكثير ليس له نظير ، ولكنهم يأخذون عليه أقوالاً وأفعالاً ، وكل يأخذ من قوله ويترك » اهـ .

نفهم من قول الذهبي أنه كان من المعجبين الخائفين الذين يبدون إعجاباً لفروط علم الرجل وأريحته لكنهم يداهون الناس حتى لا يستقبحونه أو يقتلونه ، فقد كانوا حريصين على أواصرهم وصلاتهم بالآخرين .

ومثل آخر من فروط حلمه وكرمه أنه إبان أن كان مستشاراً للناصر قلاوون ، وكان يستنصره في كثير من أمور العلماء وتعيينهم في مناصبهم فيروى أنه أحضر إليه شيخ من شيوخ الباطنية الذين سموا بالحشاشين أولئك الذين كانوا شوكة في جنب الدولة الإسلامية وخنجرًا مسموماً قاتلاً في قلبهما أثناء حكم صلاح الدين ودولة الأيوبيين الذي حملوا أنقال ردع الصليبيين ، فوجد ابن تيمية رحمة الله هذا الشيخ قد استطال شعره ، وترك أظفاره ، وأرسل شاربه ، فقص شعره ، وحف شاربه وقلم أظفاره ، واستتابه من كلام الفحش في الصحابة

وعامة المؤمنين ، وأخذ ما يغير العقل من الحشيشة وسائر المحرمات ، وأخذ عليه وثيقة بـألا يتكلم في تعبير الأحلام وغيرها مما يؤثر به على العامة^(١).

وإن المرء الذي يفترى عليه مثل ابن تيمية وهو بريء من أي اتهام وما كان مثله أن يكون ظنيناً بحال فهو مكذوب عليه، ومع هذا وبالرغم من كل ما عانى منه فإنه كان فسيح الصدر، واسع الحلم تأمل قول ابن كثير من تاريخه المشهور: «في شوال منها شكى الصوفية بالقاهرة على الشيخ تقى الدين، وكلموه في ابن عربي وغيره إلى الدولة، فردوا الأمر في ذلك إلى القاضي الشافعى ، فعقد له مجلس، وادعى عليه ابن عطاء الله السكندري بأشياء فلم يثبت عليه منها شيء ، لكنه قال: لا يستغاث إلا بالله ، لا يستغاث بالنبي استغاثة بمعنى العبادة ، ولكن يتولى به ويستشفع به إلى الله ، وبعض الحاضرين قال: ليس عليه في هذا شيء ، ورأى القاضي بدر الدين بن جماعة^(٢) أن هذا فيه قلة أدب»^(٣).

ثم عقد للشيخ بعد ذلك مجلس بالصالحة، ثم نزل بالقاهرة بدار ابن شقيق، وأكب الناس على الاجتماع به ليلاً ونهاراً^(٤).

ونستنبط من هاتين الروايتين لابن كثير أن ابن تيمية كان رجلاً قوياً مهيباً الجانب لكنه مغضوب عليه من طائفة ، ولكن هذا لم يمنع إعجاب الآخرين به ، حتى الذين حاجوه أنفسهم كانوا يقدرون علمه في قارة أنفسهم .

وأعلى درجات السماحة والنوى والكرامة إنما هو العفو والصفح عنـ

(١) راجع تفاصيل هذه القضية في البداية والنهاية لابن كثير (١٤/٣٣، ٣٤) ط. دار الفكر العربي.

(٢) القاضي بدر الدين بن جماعة ، وهو محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة الكنائى الحموي الشافعى ، بدر الدين أبو عبد الله ، قاض من علماء الحديث وسائر علوم الدين ، ولد في حالة سنة ٦٣٩ هـ ، وولي القضاء بمصر ثم بالشام ، ثم قضاة مصر وتوفي بمصر سنة ٧٣٣ هـ . راجع فوات الوفيات (٢/١٧٤) والنجمون الراهنون (٩/٢٩٨) وال الدرر الكامنة (٣/٢٨٠) ودار الكتب (٥٣٥/٥).

(٣) البداية والنهاية (١٤/٤٥) ط. دار الفكر العربي.

(٤) المرجع السابق (١٤/٤٦) بتصرف.

ظلم، فالقصاص عدلٌ والتجاوز فضل، وابن تيمية قد بلغ درجة راقية من الفضل والفضيلة شهد له بها معاصره.

عاد الشيخ إلى القاهرة فوصل في اليوم الثامن من شوال سنة ٧٠٩ هـ وأكرمه وقتذاك الناصر المتربي على عرش مصر وهو الذي دعاه إليها، فاتخذ الشيخ مقراً على مقربة من المشهد الحسيني، ثم انصرف للعلم انصرافاً مطلقاً، وجاء إليه الذين أساءوا إليه يعتذرون فقال في كلمة لا استثناء فيها:-

«كل من آذاني فهو اليوم في حل من جهتي»^(١).

ليس هذا فحسب إنما ثمة موقف يدل لنا بلا ريب على تمكّن التزّعات الإنسانية في تركيب ابن تيمية، وخلوه من الحقد وغريزة الانتقام مما يؤكّد لنا أن نفسه النقيّة كانت مقطورة على الخير مطبوعة على الحق الذي يجعلها تتحرّج من أن تغضّب الله في أي شيء، وهذا الموقف هو أن الملك الناصر لما استقر به الأمر واستتب له الملك، أراد أن يتّقم من العلماء والقضاة الذين مالّوا خصمه عليه، وهم أنفسهم الذين حكموا عليه بالحبس وإيداعه السجن في المحنّة الأولى، وبقي بسبب حيفهم^(٢) وضيّعهم له ثمانية عشر شهراً في السجن، فاستفتى الناصر بن تيمية في ذلك، فإذا بالشيخ النقى النقي الورع يفتي بأن دماءهم حرامٌ عليه، وأنه لا يحل إnatal الأذى بهم ، فقال له السلطان: إنهم قد آذوك وأرادوا قتلك مراراً ، فقال الشيخ الفاضل الكريم : «من آذاني فهو في حل مني، ومن آذى الله ورسوله ، فالله يتّقم منه ، ولا أنتصر لنفسي»^(٣).

ولم يكتف ابن تيمية بهذا العفو الشخصي ، إنما طالب الناصر بالعفو عنهم فكان يقول له : - «إذا قتلت هؤلاء لا تجد بعدهم أمثّلهم » وما زال به حتى عفا عنهم.

(١) البداية والنهاية لابن كثير (١٤/٥٤) بتصرف، وقد قال عنه قاضي المالكية ابن خلوف: «ما رأينا مثل ابن تيمية حرضنا عليه فلم نقدر عليه، وقدر علينا فصفح عنا وحاجج عنا» اهـ.

(٢) الحيف والقضم : كلاماً يعنى الظلم .

(٣) البداية والنهاية (١٤/٥٤) بتصرف.

هذه هي النفس الكريمة التي تقابل الإساءة بالإحسان ، فتكتب شرة النفس ، وتكتب غريرة الغضب وهذا أظهر وأنقى للنفس ، لقوله تعالى : -
﴿والكافرين الغيظ والعافين عن الناس﴾ وقد انتقل رحمه الله إلى دار الكرامة ليستريح فيها من عناء الفانية فقد أفضى إلى ربه بصفحة من أنصع الصفحات حافلة بجلائل المواقف الشجاعة .

وقد تفطرت القلوب حزناً عليه ، ووصف ابن كثير في تاريخه المشهور^(١) جنائزه فأسبب فيها لأن مشاهدتها تنم عن عرفان بالفضل والجميل هذه الأمة في هذا الرجل .

رحم الله ابن تيمية وجراه عن الاسلام وعن التوحيد خيراً .

(١) المرجع السابق (١٤/١٣٥) وما تلاها .

ابن عطاء الله السكندرية^(١)

هو الشيخ الإمام العالم أبو الفضل تاج الدين أحمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد بن عيسى بن الحسيني بن عطاء الله، الجذامي نسباً، المالكي مذهباً، الاسكندرى داراً، القاهري مزاراً، توفي بالقاهرة سنة سبعمائة وتسع في جمادى الآخرة وكان أujeوبة زمانه في التصوف^(٢).

وقد تتلمذ ابن عطاء الله السكندرى على الإمام أبي العباس المرسي، وأخذ العهد عليه - كما هو المعروف بين الصوفية - وقد قال الشاذلى عن أبي العباس المرسي هذا: «إنه أعلم بطرق السماء منه بطرق الأرض» .

وإن كنا لا نقبل هذا القول أو نرفضه لأنه يرتفع عن مستوى البشر، وخلع عليهم من النعوت ما لا يصدقه عقل أريب إلا أننا أوردناه للعلم وأمانة النقل .

وقد اشتهر ابن عطاء الله بالورع والتقوى كما وصفه بذلك معاصره وأهل

(١) راجع ترجمته في الدرر الكامنة (٢٧٣/١) وكشف الظنون (٦٧٥) وخطط مبارك (٦٩/٧) وفيه توفي سنة ٧٠٧ هـ . وبروكلمان في دائرة المعارف الإسلامية (٢٤٠/١).

(٢) راجع مقدمة (لطائف المتن) بتحقيق الدكتور عبد الحليم محمود .

زمانه ، كما ذاع صيته بالعلم بالغزير والثقافة الوعية المستنيرة ، فكان جديراً
بلقب ابن عطاء الله فقيه الاسكندرية ومن كتبه القيمة الحكم العطائية ، وتابع
العروض .

مَرَاجِعُ الْكِتَابِ

القرآن الكريم .

- ١ - الإبداع في مضار الإبداع ، للشيخ علي محفوظ - ط . الاعتصام بمصر سنة ١٩٧٨ م . ط . ثانية .
- ٢ - أساس البلاغة ، للزمخشري - ط . الشعب بمصر سنة ١٩٦٠ م .
- ٣ - الإصابة في تمييز الصحابة ، لابن حجر العسقلاني ط . مصر سنة ١٩٣٩ م .
- ٤ - الإعلام ، لخير الدين الزركلي - ط . العربية سنة ١٣٤٧ هـ .
- ٥ - أنوار التزيل ، للبيضاوي المتوفى سنة ٦٨٥ هـ .
- ٦ - البداية والنهاية ، لابن كثير - ط . مصر سنة ١٣٥٨ هـ . و ط . دار الفكر العربي (بدون تاريخ) .
- ٧ - تاريخ آداب العرب ، للرافعي - ط . مصر سنة ١٣٣٢ هـ .
- ٨ - جامع البيان ، للطبرى - المتوفى سنة ٣١٠ هـ . ط . دار الفكر العربي سنة ١٩٧٨ م .
- ٩ - الجامع الصغير ، للسيوطى - ط . العلمية سنة ١٩٥٤ م .
- ١٠ - حلية الأولياء ، لأبي نعيم الأصبهانى - ط . مصر سنة ١٣٥١ هـ .

- ١١ - دائرة المعارف الإسلامية ، ط . مصر سنة ١٩٥٧ م .
- ١٢ - زاد المعاد في هدي خير العباد ، لابن قيم الجوزية - مؤسسة الرسالة بيروت ط . سنة ١٩٨١ م .
- ١٣ - صفة الصفوة ، لابن الجوزي - ط . حيدرآباد سنة ١٣٥٥ هـ .
- ١٤ - صفة التفاسير ، للصابوني - ط . مكتبة الغزالى - دمشق بيروت سنة ١٣٩٩ هـ .
- ١٥ - طبقات الحنابلة ، لابن أبي يعلى - ط . الفقى بمصر سنة ١٩٥٢ م .
- ١٦ - طبقات الخواص ، للزبيدي - ط . مصر سنة ١٣٢١ هـ .
- ١٧ - طبقات الشاذلية الكبرى ، للحسن بن محمد الكو亨 الفارسي - ط . مصر سنة ١٣٤٧ هـ .
- ١٨ - طبقات الشافعية ، لتابع الدين السبكي - ط . مصر سنة ١٣٢٤ هـ .
- ١٩ - طبقات الشعراني ، الكبير - ط . مصر سنة ١٣٤٣ هـ .
- ٢٠ - طبقات الصوفية ، لأبي عبد الرحمن السلمي - ط . مصر سنة ١٩٥٣ م .
- ٢١ - طبقات الفقهاء ، للشيرازي ، المتوفى سنة ٤٧٦ هـ . ط . بغداد .
- ٢٢ - طبقات الفقهاء الحنفية ، لطاش كيري زادة - ط . الموصل سنة ١٩٥٤ م .
- ٢٣ - الفرق بين الفرق ، للبغدادي - بتحقيق محمد محى الدين عبد الحميد .
- ٢٤ - الفهرست ، لأبي جعفر الطوسي - ط . النجف سنة ١٣٥٦ هـ .
- ٢٥ - فوات الوفيات ، لابن شاكر الكبتي - ط . مصر سنة ١٢٩٩ هـ .
- ٢٦ - القاموس المحيط ، للفيروزآبادي - ط . مصر سنة ١٣٣٠ هـ .
- ٢٧ - لسان العرب ، لابن منظور - ط . بولاق سنة ١٣٠٨ هـ .
- ٢٨ - لسان الميزان ، لابن حجر العسقلاني - ط . حيدرآباد سنة ١٣٣١ هـ .

- ٢٩ - لماذا يلحدون؟ ، للسيد الجميلي - ط . دار الكتاب العربي بيروت لبنان سنة ١٩٨٤ م .
- ٣٠ - مختار الصحاح ، لأبي بكر الرازي - ط . دار القلم بيروت بدون تاريخ .
- ٣١ - ناتيج الغيب ، للرازي .
- ٣٢ - الملل والنحل ، للشهرستاني - هامش الفصل لابن حرم سنة ١٣٢٠ هـ .
- ٣٣ - مناقب الإمام أحمد بن حنبل ، لابن الجوزي - ط . مصر سنة ١٣٤٩ هـ .
- ٣٤ - منهاج السنة ، لابن تيمية - ط . بولاق سنة ١٣٢١ هـ .
- ٣٥ - نيل الأوطار ، للشوكتاني - ط . التوفيقية بمصر .
- ٣٦ - الوافي بالوفيات ، للصفدي - ط . استنبول سنة ١٩٣١ م .
- ٣٧ - وفيات الأعيان ، لابن خلكان - ط . مصر سنة ١٣١٠ هـ . وأخرى بتحقيق محمد محى الدين عبدالحميد .

المحتويات

٥	كلمة لا بد منها
٧	المقدمة ..
١١	المناظرة التاريخية الجليلة بين ابن تيمية وابن عطا الله السكندري رحمهما الله .
٢١	ابن مظہر وابن تیمیہ پتھاران
٥٩	منظارۃ الواسطیۃ
٨٣	دراسة سیکولوجیہ فی شخصیۃ ابن تیمیہ
٨٥	شیخ الاسلام ابن تیمیہ
٩٧	هذه الامة في هذا الرجل
١٠١	عقیدۃ ابن تیمیہ
١٠٩	منهج ابن تیمیہ
١١٥	هذا الرجل وهذه القرآن
١٢٥	ابن عطا الله السکندری
١٢٧	مراجع الكتاب